الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مُذكرة مُقدمة لنيل شهَادة الماستر في اللُّغة العربية وآدابها

تخصص: نقد حديث ومعاصر

الكِتابَة السَّردِية فِي زَمنِ الوَبَاء

أَلبِير كَامُو أُنْمُوذجًا

إعداد الطَّالبتين:

– وناس نجاة

– بن داود جهيدة

إشراف الدُّكتور:

أ/د. نعار محمد

لَجنةُ المُناقشَة

الاسم واللَّقب	الرُّتبة	الصِّفة
د. سعيد بلعربي لخضر	أستاذ محاضر "أ"	رئيسًا
أ/د. نعار محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفًا مقرِّرًا
د. مزيلط محمد	أستاذ مساعد "أ"	عضوًا مناقشا

السنة الجامعية:

1445-1446هـ / 2024-2025م

مكتبة رشيد

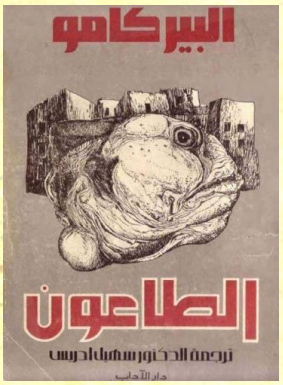

فهرس المحتويات

مكتبة رشيد

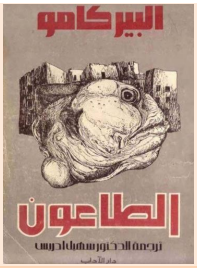

فهرس المحتويات

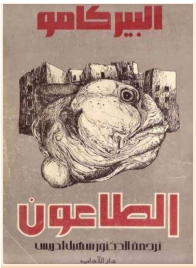

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة ..... أ

مدخل: مدخل: مفاهيم ومقاربات

أولا: مفهوم السرد 9

ثانيا: السردية 10

ثالثا: مكونات السرد والبنية السردية 11

رابعا: تاريخ الكتابة السردية 13

خامسا: تاريخ السرد العربي 14

سادسا: خصائص السرد العربي القديم 18

سابعا: نظرية الأدب العربي في الأزمات ودور الأدب في التخفيف من التوترات النفسية والاجتماعية والاقتصادية أثناء الأوبئة 18

الفصل الأول: الوباء وتأثيره على الأدب السردي

المبحث الأول: مفاهيم حول الوباء **22**

أولا: تعريف الوباء 22

ثانيا: بعض المفاهيم المرتبطة بالوباء 23

ثالثا: الوباء في الأدب 25

المبحث الثاني: قراءة وتحليل بعض روايات وقصص العصر الحديث في زمن الوباء 27

أولا: الأدب والأوبئة في العصر الحديث 27

ثانيا: قراءة لتجليات صورة الوباء في رواية عدو غير مرئي 34

ثالثا: تحليل أهم الروايات والقصص الغربية والعربية التي تناولت موضوع الوباء 35

الفصل الثاني: تأثيرات الوباء وإنعكاساته على الكتابة السردية (العزلة - الموت - الأمل)

المبحث الأول: الخطاب العجائبي 46

أولا: تعريف الخطاب العجائبي 46

ثانيا: تصنيف الخطاب العجائبي 48

المبحث الثاني: الأوبئة وتأثيراتها 51

أولا: البشرية والأوبئة 51

ثانيا: الجائحة وتأثيراتها 51

المبحث الثالث: بين سلطة الحجر وفسحة الشعر 56

أولا: الإبداع في جائحة كورونا 57

ثانيا: التدابير اللازمة من منظور الشاعر للوقاية من تفشي وباء كورونا 58

ثالثا: الأدب في زمن الحجر والعزلة 62

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لرواية الطاعون ألبير كامو

المبحث الأول: التعريف بالكاتب والرواية 68

أولا: التعريف بالكاتب 68

ثانيا: رواية الطاعون 69

المبحث الثاني: الشخصيات في الرواية وأسلوبها 73

أولا: الشخصيات في الرواية 73

ثانيا: أسلوب الرواية 75

المبحث الثالث: الرمزية والنزعة الإنسانية في رواية الطاعون وتأثيرها في الأدب **76**

أولا: الرمزية في رواية الطاعون 76

ثانيا: النزعة الإنسانية في الرواية 78

ثالثا: تأثير رواية الطاعون في الأدب العربي 91

خـاتـــــــمـــة **95**

قائمة المصادر والمراجع **98**

الـــــــملاحـق

مـــلـــخـــص

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر لله والصلاة والسلام

على رسول الله

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان

إلى الدكتور الفاضل "**نعار محمد**"

على قبوله الإشراف على هذا العمل

وعلى توجيهاته ومساعدته القيمة

كما أشكر الأستاذ الدكتور "**شريف نهاري**"

موصول كل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذتنا الكرام

الذين أشرفوا علينا خلال مسارنا الدراسي و كل

من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا

العمل ولو بالكلمة الطيبة

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين رحمهما الله

إلى الزوج الكريم والأولاد "أنس – خالد – ياسمين"

إلى الإخوة والأخوات

إلى كل أفراد العائلة

إلى كل الصديقات

إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل المتواضع

ولو بالكلمة الطيبة

نجاة

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى والدي رحمة الله عليه

إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كل أفراد العائلة

إلى كل صديقاتي

إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل المتواضع

ولو بالكلمة الطيبة

جهيدة

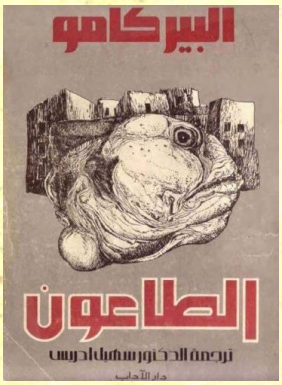

مقدمة

لطالما شكّلت الظواهر الكبرى التي تصيب المجتمعات من حروب مدمّرة وأوبئة قاتلة وكوارث طبيعية أو اجتماعية لحظات فاصلة في التاريخ الإنساني تنعكس بعمق في مرآة الأدب وبخاصة في الكتابة السّردية، فالكاتب لا يعيش في عزلة عن محيطه وإنما هو ابن بيئته، يتأثر بتقلّباتها ويتفاعل مع ما يهدّد استقرار الإنسان فيها، ليُحوّل الألم والاضطراب والفقدان إلى نصوص نابضة بالحياة تسائِل الواقع وتعيد تشكيله رمزيًا أو واقعيًا.

لقد شهد العالم خلال العقد الأخير حدثا تمثّل في تفشي جائحة كوفيد 19 التي لم تقتصر آثارها على الصحة العامة والاقتصاد فحسب، بل امتدت لتلامس مختلف أوجه الحياة، فما كان على الأدب إلا أن يساير ويحاكي هذه الأزمات فقد أخذ موضوع الوباء مكانا مميزا في الأدب العربي والغربي، فتجربة الألم حركت أقلام الكثير من المبدعين قديما وحديثا.

إن هذا الوباء أدى إلى إحداث تحولات جذريّة في النصوص السردية، سواء من حيث الموضوعات المطروحة أو أساليب السرد أو تمثيل الشخصيات والمكان والزمان، وفي هذا السياق أصبح الأدب مرآة دقيقة للواقع المعاش ومجالا لتفريغ التوترات النفسية والإجتماعية التي فرضتها الجائحة.

وكان أبرز ما يمكن ملاحظته في الكتابات السردية بعد الجائحة هو بروز موضوعات جديدة، أو إعادة إحياء موضوعات سابقة في ضوء تجربة الوباء، فقد أصبحت العزلة، والخوف من المجهول والقلق الوجودي محاور أساسية في كثير من الروايات والقصص.

كما عاد موضوع المرض والموت إلى الواجهة لا بوصفه مجرد خلفية للأحداث بل كمحرك درامي أساسي يوّجه مسار الشخصيات ويرسم مصائرها، فانعكس الإضطراب الذي سبّبته الجائحة في أساليب الكتابة أيضا فظهرت أنماط سردية جديدة تعتمد على اليوميّات والمذكرات الشخصيّة أو السرد الذي يعكس فقدان الاتساق الزمني والمنطقي في حياة الأفراد، كما لوحظ توجه نحو استخدام لغة أكثر مباشرة وأقل زخرفة تعكس واقعية التجربة وقسوة اللحظة.

ولم يعد المكان في النصوص السّردية الحديثة مجرد فضاء تقليدي بل أصبح يعاد تشكيله من منظور الحجر المنزلي والعزلة، فالبيت بات مركز العالم، بينما تحولت الأماكن العامة إلى رموز للخطر

والمجهول أما الزمان فقد تم تصويره في كثير من الأعمال كزمن معلق متكرر بلا أفق واضح، وهو ما يعكس نفسية الإنسان المعزول والمنقطع عن ايقاع الحياة المعتاد.

من خلال ما سبق تتجلى الإشكالية الآتية:

كيف أثّر الوباء في تحريك الكتابة السردية؟

وحتى نتمكن من معالجة هذه الإشكالية كان لزاما علينا أن نطرح بعض الأسئلة الفرعية:

- **كيف استطاع أدب الأوبئة أن يؤثر في الأدب السردي؟**
- **ما هي انعكاسات الوباء على الحالات الإجتماعية؟**
- **كيف أثرت رواية الطاعون لألبير كامو في الأدب العربي والعالمي؟**

وتوضيحا للأسئلة السابقة يمكننا تقديم بعض الفرضيات الآتية:

- لعب أدب الأوبئة دورا محوريا في تطوير أشكال الكتابة السردية من خلال ادخال مضامين جديدة تتعلق بالخوف والعزلة والموت مما أدى إلى تحولات في البنية الفنية للنصوص وتوظيف أساليب تعبيرية تعكس حالة الطوارئ الوجودية والنفسية.

- يعكس الوباء اضطرابا في النظم الاجتماعية ويكشف على هشاشة العلاقات الانسانية إذ يؤدي إلى بروز سلوكيات مثل: الأنانية الهلع، التضامن والتمرد، مما يجعل النص السردي فضاءا لتحليل البنية النفسية والاجتماعية للمجتمع في لحظة الأزمة.

- تركت رواية الطاعون أثرا بالغا في الأدب العالمي والعربي سواء من خلال تأثيرها المباشر على نصوص لاحقة تناولت موضوع الوباء أو من خلال استلهام رؤيتها الفلسفية في فهم الانسان في مواجهة العبث والموت وهو ما يتجلى في العديد من الأعمال الأدبية المعاصرة.

وحتى يتسنى لنا معالجة الإشكالية والإجابة على الأسئلة الفرعية ارتأينا اتباع الخطة التالية:

فبداية اعتمدنا مدخلا تعريفيا للسرد وتاريخ الكتابة السردية ودورها في الأزمات الإنسانية تحت عنوان الكتابة السردية مرآة لمظاهر المجتمع، أما الفصل الأول فكان بعنوان الوباء وتأثيره على الأدب السردي حيث جاء فيه مراجعة للأدب المعاصر في زمن الوباء، إضافة إلى تحليل بعض الروايات التي تناولت

موضوع الوباء في بعض العصور إلى يومنا هذا، أما الفصل الثاني معنونا بالإنعكاسات النفسية والإجتماعية على الكتابة السردية حيث نرى كيف شكّل الوباء موضوعا مثل العزلة والموت والتغيرات الإجتماعية التي طرأت في الأزمة، أما الفصل الثالث كان عبارة عن دراسة تطبيقية لرواية الطاعون لألبير كامو.

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي، فهو الأنسب لهذا النوع من الدراسات حيث يعتمد على تقديم وصف دقيق للرواية من حيث الحبكة، الشخصيات، الزمان، المكان، الطروف الوبائية، إضافة إلى تحليل البنية السردية للرواية في ظل سياق الوباء من خلال اللّغة والأسلوب والرموز.

كما اعتمدنا على المنهج التأويلي لفهم دلالات وجودية في الرواية خصوصا أن كامو يعدّ من فلاسفة العبث واللامعنى.

وكأي بحث علمي تواجهه العديد من العراقيل واجهنا بدورنا بعض الصعوبات المتمثلة في قلة المراجع المتخصصة في الكتابة السردية المرتبطة بالوباء: رغم الأهمية الكبيرة لرواية الطاعون إلا أن الدراسات العربية التي تناولتها من زاوية السرد في ظل الوباء كانت محدودة.

يعود اختيارنا لموضوعنا إلى جملة من الاعتبارات الأكاديمية والذاتية أبرزها:

- الإهتمام العالمي بأدب الأوبئة: فقد أعادت جائحة كورونا إحياء الاهتمام بالنصوص الأدبية التي تناولت الوباء ممّا دفعنا إلى البحث في الطريقة التي تعامل بها الأدب مع مثل هذه الأزمات خاصة من منظور سردي إنساني.

- القيمة الأدبية والفكرية لرواية ألبير كامو: حيث تعدّ الرواية من أبرز الأعمال التي مزجت بين التخييل الروائي والتأمل الفلسفي في الوجود، ما يجعلها مادة غنية للتحليل الأدبي.

- كما أن اختيارنا لهذا الموضوع لقناعتنا بأن الأدب لا ينفصل عن محيطه بل يتفاعل مع الظواهر الكبرى التي تمس الإنسان والوباء مثال صارخ على ذلك التفاعل.

– لاحظنا أن هذا المجال لا يزال قليل التناول في النقد الأدبي العربي، خاصة من زاوية التحليل السردي مما يشكل حافزا للمساهمة في اثرائه.

– ينبع هذا الاختيار من اهتمامنا الشخصي بالأدب الوجودي و بأعمال ألبير كامو بوجه خاص لما تحمله من عمق فلسفي وأسلوبي.

– ثمَّ الرغبة في البحث في أدب الأزمات: حيث نطمح للمساهمة المتواضعة في هذا المسار لقلة الدراسات والبحوث فيه خاصة السيّاق العربي.

تبرز أهمية موضوع هذه الدراسة من الناحية التطبيقية في كونها تساهم في إثراء الدراسات السردية المعاصرة من خلال تسليط الضوء على كيفية تفاعل الأدب مع الأزمات الوبائية وتحديدا على مستوى البنية السردية وتقنيات الكتابة، كما يفتح أفاقا جديدة لفهم العلاقة بين الأدب والفلسفة من خلال استكشاف الأبعاد الفكرية التي تنطوي عليها الرواية خصوصا في سياقها الوجودي.

أما من الناحية النظرية فتبرز أهميتها في كونها تتيح إمكانية تحليل نموذج سردي غني (رواية الطاعون) يمكن اعتماده في تدريس أدب الأزمات، كما يمنح المهتمين بالدراسات الأدبية أدوات لفهم كيف يعكس النص الروائي الأبعاد النفسية والإجتماعية للإنسان في أوقات المحن، ويساعد في تطوير قراءات تطبيقية لنصوص أدبية أخرى تنتمي إلى نفس السياق سواء في الأدب العربي أو العالمي.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تساهم في فهم أعمق للكتابة السردية في ظل الأوبئة، من خلال تحليل رواية الطاعون لألبير كامو ومن أهم الأهداف:

– تحليل البنية السردية لرواية الطاعون وتسليط الضوء على الأساليب التقنية التي استخدمها كامو في تصوير الوباء وأثره على المجتمع والشخصيات.

– دراسة الأبعاد الفلسفية والرمزية المرتبطة بالوباء في الرواية لفهم كيف يتعامل النص مع مفاهيم الوجود، العبث، المعاناة الإنسانية.

– تحديد تأثير أدب الأوبئة على تطور الأدب السردي خصوصا في كيفية تمثيل الأزمات الوجودية والنفسية التي تعيشها المجتمعات.

– بحث انعكاسات الوباء على الحالات الاجتماعية كما تجلت في الرواية عدة تفسيرات للتفاعلات الإنسانية المختلفة في مواجهة الأزمة، وكيف استقبلت هذه الرواية وأثّرت في كتابات لاحقة تناولت موضوع الوباء.

ولتحقيق الهدف التي توخيناه من هذه الدراسة والإجابة عن هذه الإشكالية وكذا الأسئلة الفرعية نقسم مضامين الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة تتناول أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

حيث تضمن المدخل مفاهيم ومقاربات، أما الفصل الأول فكان حديثنا عن الوباء وتأثيره على الأدب السردي، أما الفصل الثاني خصصناه للحديث عن تـأثيرات الوباء وإنـعكاساته على الكتابة السردية (العزلة – الموت – الأمل)، وأخيرا جاء الفصل الثالث والذي هو دراسة تطبيقية لـرواية الـطاعون ألـبير كـامو.

وأخيرا لا يسعنا إلا أن نشكر **أستاذنا الفاضل الدكتور** "**نعـار محمد**" على ما قدمه لنا من توجيهات ونصائح، وكذلك نشكر مكتبة الكلية.

تـيـارت: يـوم 2025/06/12

الطالبتين: - ونـاس نـجـاة

- بن داود جهيدة

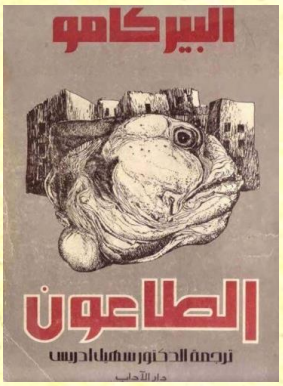

مـــدخـــل

مفـاهيم ومـقاربـــــات

تمهيد

إن السرد Narration من أهم الموصوفات التي اشتغل عليها النقاد المعاصرون باعتباره شكلا من اشكال الخطاب الادبي الحديث، فكشفوا في اول الامر مفهومه مؤكدين اختلافه عن الحكي المعروض في القديم، لقد غدا السرد اليوم مصطلحا نقديا يعني ينقل الحادثة من صورتها الواقعية غلى صورة لغوية، ويعني ان اللغة عنصر مهم وقاعدي في العملية السردية التي تقتضي ساردا Narration يتولى رواية الحكاية، والحقيقة ان جهود النقاد بشان السرد كشفت شموليته لجميع انواع الخطابات التي يمكن أن ينتجها الكتاب كالقصة، والرواية، والأسطورة، والخرافا والدراما، والملهاة وغيرها من الاجناس الأدبية.[1]

كما تحدث أبا ستفاضة عن البنية السردية لخطاب وأجمعوا انها ثلاثة مكونات هي الرواي أو المرسل أو المروي له، او المرسل إليه، او المروي والحكاية وليس لهذا فحسب بل راحوا يسهبون في الحديث عن أشكال السرد المتمثلة في السرد المتقطع والسرد التناوبي والسرد المتسلسل اما وظائفه فقد حددا منها الوظيفة التقييمية.

دون أن يهمل التفصيل في الرؤية السردية، وقد حددت مظاهرها في ثلاث وهي عن الخلق والرؤية عن الخارج، الرؤية المصاحبة.[2]

ويبدوا أن سلطة القارئ لم يروج لها فقط النقاد المؤصلون نظرية القراءة والتلقي وإنما كرسها أيضا الفعل النقدي المعاصر المتناول لسرديات حيث أكد على حضور القارئ في النصوص السردية، على نحو كالفينو kalfino الذي حصص لحضور القارئ في السرد أجمل كتبه الذي يحمل عنوان "لو ان مسافرا ذات ليلة من ليالي الشتاء" وكذلك كتاب القارئ في الحكاية لأميرتو إيكو.[3]

---

[1] سعيد يقطين، الكلام والخبرة مقدمة لدراسة السرد العربي، المركز الثقافي في العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1977، ص19.

[2] عدنان بن زريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص43.

[3] أميرتو إيكو، نزهات في غاية السرد، تر: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط1، 2005، ص17.

أولا: مفهوم السرد

لتحديد وضبط مفهوم واضح لمفهوم السرد كان لزاما علينا البحث في القواميس والمعاجم.

أ. السرد لغة: أما السرد في اللغة العربية فمصدر سَرَدَ يَسْرُدُ سَرْداً، وهو: تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا يَسْرُدَ سَرْداً غذا كان جيدا السياق له، وفي صغة كلامه، صلى الله عليه سلم، لم يكن ليشرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في زمنه، والسرد: المتتابع... والمسرد، اللسان... وسرد الشيء سردا وسرده وأسرده: ثقبه (...) والسرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الخلق (...) وقوله عز وجل: وقدر في السرد قبل: هو أن لا يجعل المسمار غليضا والثقب دقيقا فيفصم الحلق".[1]

كما نجد "ان مادة (سرد) في لسان العرب قد حول المتابعة وحسن السبك كما يجعل السرد بمعنى النسيج، وهو نسيج الكلام، وبذلك يتضمن السرد كل قول أو إخبار دون تقديم أجناسي، فكل كلام مسموح حسن السبك متتابعا، هو سرد قد يكون خطبة أو قصة او شعرا".[2]

يعد تعدد مفاهيم السرد من طرف علما، السرديات وقد وسعوا نجد من بينهم "تعريف عبد الملك مرتاض" للسرد لفةُ قائلا: "السرد في أصل اللغة العربية هو التتابع الماضي على سيرة واحدة، وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الاشتقاقي، هذا هو الأصل اللغوي لكلمة سرد.

ب. السرد اصطلاحا: السرد يتوقف على دعامة مهمة وعلى فصل مقوم مشتمل على قصة أو حديث أو تاريخ أو أي نوع من أنواع الأدب، ويرى "جون ساذرلاند" أن السرد هو نوع من البراءة الفنية التي تجيد الأدب وتجمله وأن المسرود أي القصة مضمونها نوع من أنواع الأدب من غير اعتبار الجمال الفني وهذا السرد والسرود كلما التحقا والتصقا حتى يكون شيء واحدا يشكل هناك نوع أدبي فني.[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2004، ص 164، 165.

[2] ليندة خراب، شعرية السرد في الرواية العربية الجزائرية، الطبعة الأولى، دار النشر والتوزيع عالم الكتب الحديث، الأردن، اربد، 2016، ص64.

[3] جون ساذرلاند، ترجمة مُحَمَّد هارق داود فكرة يجب أن تعرفها عن الأدب، المكتبة المصرية للمطبوعات، ص 38.

فإنه يعرف السرد أيضا: ثم أصبح السرد بملف في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوا، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الحوائي أو القصصي، فكأنه الطريقة التي يختاروها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحدث إلى المتلقي".[1]

ثانيا: السردية

وانطلاقا من هذه المفاهيم "فإننا ننتقل لأن إلى بحث مفهوم غالبا ما نجده يقوم بوظيفة التعيين، أي الصفة للخطاب السردي أو هو السردية "Narrativité" يعني مفهوم السردية "بإجمال مجموع الخصائص البنيوية والشكلية للخطاب الذي يمكن أن نصفه بأنه خطاب سردي، والسردية بهذا المفهوم لا تعني الأدوات النقدية والإجرائية التي يتخذها الدارسي لتحليل نص سردي تحدد مسبقا وتشكل ما قبها، ولكنها تهتم خاصة بالبناء السردي للخطاب ذاته وكيفية تمظهره وتشكيله "فالسردية" لا تعني بالمتون السردية ذاتها، إنما بكيفية ظهور مكوناتها سرديا "Narrativité" أي بالممارسة التي اتخذتها مكونات السرد ضمن البنية السردية أي بحث المكونات البنيوية والسردية للخطاب السردي".[2]

وتعرف الباحثة آن هينو "A 'Hénault" تلميذ غريماس النجباء السرد قائلة "نستطيع أن نقول إن هناك "سردية" إذا صادفنا نصا من جهة حالة خروج مصحوبة بحاله امتلاك أو افتقار لموضوع ذي قيمة، ومن جهة اخرى فعلا (act) أو متوالية من الأفعال المنتجة لحالة جديدة معاكسة تماما لحالة الخروج".[3]

أما جون بيرفاي "Jean– pierrefaye" يعرفها "بأنها الوظيفة الأساسية و البدائية للغة المحمولة على القاعدة المادية للمجتمعات التي لا تلامس التاريخ فحسب ولكنها تؤدي إليه ومن هنا نلاحظ أن "جون بيرفاي" يقلب الموازين حيث كان المفهوم السائد هو أن التاريخ هو المصدر الحكي، صار الحكي هو الذي ينتج التاريخ".[4]

---

[1] عليمة قادري، رحلة السرد (السندباد يعود من بعيد)، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 105، 106.

[2] المرجع نفسه، ص 116، 117.

[3] المرجع نفسه، ص 117.

[4] المرجع نفسه، ص 118.

أما الناحية المجال الديني "أن أبا الفرج بن الجوزي" ألف كتابا بعنوان "كتاب القصاص والمذكورين" محددا فيه النص الديني بعيدا عن الصراعات الاجتماعية وتقلبات التاريخ، كما اوضح "جينين" في مقال مشهور له "إن لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص، وتذكير، ووعظ، حسب تعريف ابن الجوزي ثلاثة أشياء:

1. **الأول**: أنه حديث الماضي، أي أنه يسرد أحداثا وقفت قبل مباشرة فعل الحكي، وقد يختلط هذا الحكي بالتاريخ.

2. **الثاني**: أنه حكاية، أي السرد، والحكاية في اللغة العربية قد تعني السرد أي الرواية كما يعني أيضا المحاكاة والتمثيل.

3. **الثالث**: الشرح قد يفيد في هذا المقام إضافة القاص للحدث والتعليق عليه".[1]

ثالثا: مكونات السرد والبنية السردية

1. **مكونات السرد**: ونقصد بالمكونات الأركان المهمة الأساسية التي ينبغي عليها السرد، وقد قسمه العلماء إلى ثلاثة:

أ. **الراوي**: "هو ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء أكانت حقيقته أو متخيلة ولا يشترط أن يكون اسما معينا قد يتوازى، خلف صوت او ضمير يصون بواسطة المروي بما فيه من أحداث ووقائي، وهو الذي يصنع القصة وليس هو الكاتب بالضرورة في التقليد الأدبي بل هو وسيط بين أحداث ومتلقيها".[2]

ب. **المروي**: "أي الرواية التي تحتاج إلى راوي ومروي له أو إلى مرسل ومرسل إليه وتنتظم وظيفته في تشكيل من الاحداث تقترن بأشخاص ويؤمرها فضا، من الزمان والمكان، وتعد الحكاية جوهر المروي، والمركز الذي تتعامل عناصر المروي حوله بوصفها مكونات له، ولهذا المروي وجهاد متلازمان لا يمكن القول بوجود أحدهما دون الآخر في بنية الرواية".[3]

---

[1] عليمة قادري، رحلة السرد (السندباد يعود من بعيد)، المرجع السابق، ص119، 120.

[2] عبد الله ابراهيم، السردية العربية بحوث في البيئة السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص11.

ج. **المروي له:** "وهو الشخص (المجتمع) الذي يوجه له السرد داخل النص السردي، حيث يتلقى ما يرسله الراوي سواء أكان اسما متعينا ضمن البيئة السردية، أم كائنا جاهلا مجهولا، وقد يكون المتلقي "القارئ" قد يكون قضية أو فكرة ما يخاطبها الراوي على سبيل التخيل الفني".[1]

2. **مكونات البنية السردية:** هي الدور الأساسي الذي يؤديه السارد في النص الأدبي.

أ. **الوظيفة السردية:** وهي وظيفة أساسية لا يمكن لأي سارد ان يتجاوزها أو إلقائها لأنها هي التي تحدده وتعطيه هذا الوضع "STATUT" وأول هذه المظاهر هو طبقا الحكاية والوظيفة التي ترتبط بها أي تحديدا الوظيفة السردية التي لا يمكن لأي سارد أن يفقدها وغلا فقد صفته".[2]

ب. **الوظيفة التنبيهية:** "وهذه الصيغة التي استعملها السارد في سياق التواصل السردي هي ما يقول عنها "رومان جاكبسون" الوظيفة التنبيهية "la fonction" "phatique" أي الوظيفة التي تبقى الربط التواصلي قائما بين المرسل والمستقبل، وبمعنى آخر أن هذه الصيغة الأمرية لا تعني الأمر بالمفهوم الشائع والمتداول أي المتمثل في إخضاع الآخر وحمله على الطاعة ولكنها طريقة لبقةٌ وذكية لإبقائه في دائرة السرد وسحره".[3]

ج. **الوظيفة الإقناعية:** "حسب محسن جاسم الموسوي "تتمثل في التزام السارد بالمعايير في الصيغ السردية التي تشعر السامع بأنه أمام وضعية سردية تتطلب منه تهيؤا معينا وهو ما يسميه "هانس روبرت ياوس" في إطار نظرية القراءة والتأويل "بأفق الانتظار" وهذه التوقعات التي تثيرها بداية النص قد تتحقق، فتقول بتحقق أفق الانتظار، وقد تخالف توقعاته فنقول "بخيبة أفق الانتظار" والست السردية التي اعتمدها السارد مأخوذة من التراث السردي العربي أولا ثم الفارسي والهندي واليوناني ثانيا، وهي عبارة عن صيغ جاهزة ومتداولة بين الناس وتكون وظيفتها إلى جانب وظيفة أفق الانتظار وظيفة تنبيهية "Fonction phatique" كما سمها جاكبسون وهذه "الست".[4]

---

[1] عبد الله ابراهيم، السردية العربية بحوث في البيئة السردية للموروث الحكائي العربي، المرجع السابق، ص12.

[2] عليمة قادري، رحلة السرد (سندباد يعود من بعيد)، ص 142.

[3] المرجع نفسه، ص147.

[4] المرجع نفسه، ص156، 157.

رابعا: تاريخ الكتابة السردية

لقد حضي العشر في الدراسات الادبية التاريخية باهتمام الدراسين والباحثين حيث انصبت جهودهم في رصده وتحليله ودليل ذلك كثرة المؤلفات في تاريخه، بالمقابل قلتها في النثر، بما في ذلك السرد "عندما ننظر في ما أنجز في حقل الدراسات التي تعاملت مع بعض الأنواع الحكائية أو السرد نجد ندرة ونقصا كبير على مستوى هذه الأعمال سواء من حيث الكم أو الكيف، قد نلقي جزءا أساسيا من تبعات هذا الوضع إلى غياب "الاعتراف بهذا الجنس، لكن عدم الانطلاق من طبيعته الخاصة، وموقعه الذي يحتله ضمن باقي الأجناس، له دخل كذلك في استمرار هذا الوضع إلى الآن، ولا يمكن أن يكون من نتائج ذلك سوى أن تكون مختلف الإنجازات التي حاولت الأدب العربي في تاريخه ناقصة وعاجزة عن الإحاطة والشمول على اعتبار أن جزءا "أساسيا من موضوعها كل مقصى وخارج نطاق البحث".[1] وهي يمكننا طرح الإشكال التالي؟ كيف يمكن للتاريخ، وهو كيان لم يبلور بشكل مثالي في الوجود والوعي، أن يكتب بطريقة تعكس حقيقته رغم تعقيداته، وتأثير الزمن والمكان عليه، وعدم كفاية الدراسات المتراكمة لتكوين تصور شامل عنه؟

"إنها فعلا مفارقة ! ولكن العمل على تجاوز مختلف العوائق التي تساهم في إضفاء طابع المفارقة، هو الذي يمكننا من جهة من إرساء "المفهوم" وإبراز قبوله التحقق عن طريق الكشف من أبرز ملامحه التاريخية والبحث في تطوره وصيرورته، بل إننا نذهب أبعد من ذلك بتقرير أن عدم تبلوره في الوعي والوجود هو الداعي إلى ضرورة البحث فيه ودراسته، إن هذا الغياب هو الذي يمكنه أن يحفز على تناوله في ذاته وفي صيرورته، إذا لا يمكن الانتظار ريت ما يتحقق الوعي وتتراكم الدراسات، وأي عمل يمكن الإقدام عليه الآن، لا يقول عليه كثيرا من أجل المفارقة، أو تقديم وصفة جاهزة ونهائية، إن المعول عليه هنا والآن، ولا يمكننا أن نتأخر في ذلك هو تأسيس المفهوم، وإحلاله موقعه ضمن باقي الأجناس".[2]

---

[1] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان (الرباط)، ط1، 1433هـ/2012م، ص77، 78.

[2] المرجع نفسه، ص 78، بتصرف.

بإضافة إلى موسى سليمان "نجد إسهاما آخرا "الغرة الفنام" بعنوان الفن القصصي العربي القديم من القرن الرابع إلى القرن السابع.

"إذا كان موسى سليمان يتحدث عن الادب القصصي فإن الفنام تحرف التسمية قليلا من الادب القصصي إلى الفن القصي، وفي هذا الانزياح المفهومي من الأدب إلى الفن محاولة للتدقيق لكنه التدقيق الذي لا يغير شيئا من طبيعية، غير أننا نلمس من خلال العنوان الفرعي (من القرن الرابع إلى السابع) تحديدها للجانب التاريخي الذي سيكون أساس معانيها للسرد العربي في زمان محدد".[1]

خامسا: تاريخ السرد العربي

"فلا يقل إثارة للسؤال عن نظيره المتصل بالأنواع، فالتقسيم بحسب أنواع القصص، جعلها تبدأ الباب الأول بـ "الأخبار" لتقف من خلالها على ما تضمنته بعض المصنفات الجامعة من أخبار جرت في العصر الجاهلي أو في العصر الإسلامي، وتنتقل بعد ذلك إلى الأمثال... وهكذا إن كل خصل تعالج فيه نوعا سرديا وهو يتطور في الزمان أو التاريخ متخذه من المقامة مركز توجيه، وكأن الأنواع السردية السابقة على المقامة جاءت إرهاصا لها، وما جاء بعدها من أنواع، ليس سوى امتداد لها؟ فهي تبعا لتصورها هذا يمكننا تقسيم تاريخ السرد العربي إلى حقيقتين أساسيتين هما:

1. ما قبل المقامات: قبل نشوء فن المقامات في القرن الرابع الهجري، كان للسرد العربي جذور ضاربة في عمق الثقافة الشفوية والكتابية، وقد تجلّت في أشكال تعبيرية متعددة ساهمت في بناء الحس السردي لدى العرب. وقد تميزت هذه الأشكال بتنوع مضامينها وغاياتها، بين ما هو ترفيهي، ديني، تعليمي، أو تأريخي.

أحد أبرز الأشكال السردية في هذه المرحلة تمثل في أيام العرب، وهي قصص معارك وحروب بين القبائل، امتازت بوصف الوقائع والبطولات والمواقف الحوارية، وقد حفظها الرواة وتناقلها الناس في الأسواق والمجالس[2].

[1] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص 88.

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط4، 2001، ص 320.

كما برزت الخُطب الجاهلية والإسلامية، التي اعتمدت على التتابع السردي في عرض القضايا الاجتماعية والسياسية، مثل خطب قس بن ساعدة وسحبان وائل.

ومن المصادر الأساسية للسرد العربي المبكر أيضًا القصص الديني، خاصة القصص القرآني الذي تميز ببنية سردية متكاملة شملت الزمان والمكان وتطور الشخصيات والحوار، كما في قصة يوسف عليه السلام، التي تُعد من أرقى النماذج السردية في التراث العربي الإسلامي[1].

إلى جانب ذلك، انتشر السرد العاطفي والغرامي في أخبار العشاق، مثل قيس وليلى وجميل وبثينة، وهي قصص اعتمدت على توالي الحدث وتدرج الانفعالات، ما منحها طابعًا سرديًا ذا بعد إنساني وأدبي[2].

ثم جاء عصر التدوين، فتوسعت الكتابة السردية ضمن كتب التاريخ والسير والمغازي، مثل "سيرة ابن هشام" و"مغازي الواقدي"، حيث استخدم المؤلفون الأساليب القصصية لعرض الأحداث وتحليل الشخصيات والوقائع[3]. كما أسهمت كتب "ألف ليلة وليلة" لاحقًا في الحفاظ على ملامح الحكي الشعبي العربي ومهارات السرد التقليدي.

هكذا مهدت هذه الأنماط المتنوعة الطريق لظهور فن المقامة، الذي جمع بين عناصر البلاغة والفكاهة والتلاعب اللغوي، وبنى على قواعد السرد التقليدي ليُقدِّم أسلوبًا سرديًا جديدًا يقوم على الحيلة والدهاء وحبكة الموقف.

2. ما بعد المقامات[4]: بظهور المقامة أصبح البحث في مسألة تحليل هذا النوع السردي ببلاغة جديدة غير البلاغة التقليدية أن التصور الذي هل يحكم التاريخ السرد العربي .... مشدودا إلى الأسس التي نجدها عند "موسى سليمان" وسواه من الذين اهتموا بالتاريخ للأدب بوجه عام أو حاولوا وضع السرد

[1] عبد الفتاح أبو مدين، القصص في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982، ص54.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص111.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص16.

[4] المرجع نفسه، ص 85، 86.

العربي في التاريخ، ويدفعنا هذا الصيغ إلى التمييز بين تصورين أو ممارستين تم الانطلاق منها في التاريخ الأدب العربي هما: "تاريخ الأدب" و"الأدب في التاريخ".[1]

3. السرد في مدونة العربية: القصد من السرد العربي ذلك الملفوظ الناظم الذي يجمع كل الفنون الحكائية العربية التي تعتمد فعل القص كمحور أساسي لها ويحتل فيها الراوي موقفا هاما في تقديم مادته الحكائية وتدخل تحت هذا النمط الحكائي مجموعة كبيرة من الأشكال السردية العربية القديم نذكر منها: -السير- المغازي- القصص- الطرائق الحكايات- الأسمار- النوادر- المقامات وغيرها من المنجزات الحكائية التي عرفها العربي عبر حقب زمنية مختلفة غير أن الملاحظ على كل هذه التسميات السابقة أنها كانت محدودة وضيقة عن الشمول أو كانت تحكمها رؤى خاصة، وهذا ما جعلها غير دقيقة عكست المفهوم (السرد)".[2]

إن السرد الظاهرة في مجملها ويسعى إلى الإحاطة بمختلف حيثياتها وملابساتها، ويغدو وتبعا لذلك قادرا على جعلنا في إطار توظيفه التوظيف المناسب لفهم الظاهرة بصورة أحسن وأوضح، "وترى الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة أن التراث السردي العربي مصدر معرفي وفني لا تنصب عطاؤه وهو ما يجعلنا نعود إليه والبحث فيه بشكل دائم ومستمر كونه (الديوان المزاحم للسعر على الصعيد الواقعي، حيث استطاعت عدة نصوص سردية عربية قديمة الوصول ، إلى مستوى العالمية وعلى درجة سامية من الإبداع الإنشائي الرفيع) من مثل ما نجده في "ألف وليلة- البخلاء- رسالة الغفران- المقامات...".[3]

4. تأثيره في الدراسات النقدية: لا يمكن إغفال دور "مرتاض" تأثيره على الدراسات النقدية العربية "إذا أسهمت أبحاثه في تطوير مناهج تحليل السرد، وأثرت في جيل جديد من الباحثين العرب الذين استفادوا من طروحاته النقدية".[4]

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ص 88، 89.

[2] محاضرات في مقياس السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، السنة الثالثة، تخصص دراسات أدبية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ب.ص.

[3] المرجع نفسه.

[4] الزيات أحمد، التأثيرات النقدية لعبد ملك مرتاض في السرد العربي، دار الفكر، القاهرة، 2010، بتصرف.

5. إسهامات في النقد السيميائي: من أبرز إسهامات "مرتاض" استخدامه للسيميائيات في تحليل السرد العربي "حيث قدم دراسات معمقة حول دلالات الرموز والعلامات في النصوص السردية، مبررا التفاعل بين النص والقرئ، وقد ناقش كيفية تشكل المعنى عبر العلامات اللغوية والبصرية داخل الروايات".[1]

6. مساهماته في التاريخ السرد العربي: استند "مرتاض" في دراساته إلى المنهج البنيوي "حيث حلل البنية السردية للرواية العربية، مبرزا دور السرد والتناص في تشكيل المعنى داخل النصوص كما ركز على البنية الزمنية في الروايات العربية، محللا أشكال الاسترجاع والاستباق وتداخل الأزمة سردية".[2]

7. دراسته للرواية العربية المعاصرة: تناول "مرتاض" دراسة وتحليل العديد من الروايات العربية الحديثة والمعاصرة "حيث درس تطور تقنيات السرد عند روائيين بارزين مثل: نجيب محفوظ، الطاهر وطار، أحلام مستغانمي".[3]

سادسا: خصائص السرد العربي القديم

للنص السردي العربي القديم خصائص عدة عكست لنا مكانته الفنية والإبداعية ومن أبرزها هذه الخصائص نجد:

– الاهتمام بالمهمش مقابل المركز: "بعد الاهتمام بالمهمش ركيزة أساسية للنتاج السردي العربي القديم، حيث استطاع السارد القديم بشخصياته للجمهور بدلالات طافحة من مثل الحديث: عن البخلاء، العقلاء، الرحالة، القصص المجانين وغيرها".[4]

– عجائبية السرد: "نسجت مضامين عدة نصوص سردية قديمة على الخوارق وغير المعقول مما يجعلها تتسم بدلالات رمزية من مثل ما نجده في رسالة الغفران "لأبي العلاء المعري" التوابع والزوابع "لابن شهيد" وقد كان للعجائبية الأثر الكبير في النصوص السردية الحديثة والمعاصرة".[5]

---

[1] عبد الملك مرتاض، السيميائيات والسرد العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2004، بتصرف.

[2] عبد الملك مرتاض، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار هومة، الجزائر، 1998، بتصرف.

[3] عبد الملك مرتاض، الرواية العربية والتجريب الفن، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، بتصرف.

[4] المرجع السابق.

[5] المرجع السابق.

– اعتماد الوصف والحور: "اعتمدت النصوص السردية العربية القديمة على ركيزتين أساسيتين هما الوصف والحوار ووظيفتهما بشكل لافت للنظر".[1]

– اعتماد السرد المتواصل (العنقودي): "حيث استخدمت كثير من النصوص السردية هذا النمط السردي الذي يتضح في كثير منها مثل: "ألف ليلة وليلة" بحيث يخلق الراوي قصة إطار (أولية) تتضمن قصصا قصيرة (ثانوية) تشكل أطراف الحكي".[2]

– اعتماد أسلوب الإسناد: "حيث يستهل السرد القديم بـ (بلغني– زعموا) فيسند الراوي فعل الحكي لطرف آخر ليتحرر من الحكي ويستقطب القارئ ويوهمه بالحقيقة".[3]

– التصريح بالمحفز: "معظم النصوص السردية القديمة بنيت على محفزات خارجية (تلبية لرغبة طالب الحكي (وهو خارج نصي) مثل ما نجده في كتاب الإمتاع والمؤسسة لأبي حيان التوحيدي حيث طلب أبو الوفاء المهندس من أبي حيان وصف مجالس أنس الوزيرين سعدان كما نجد في حكايات ألف ليلة وليلة حين طلب شهريار شهرزاد تقديم الحكي".[4]

سابعا: نظرية الأدب العربي في الأزمات ودور الأدب في التخفيف من التوترات النفسية والاجتماعية والاقتصادية أثناء الأوبئة

لم يكن أدب الأوبئة ولد اللحظة، إنما له جذوره وامتداداته التاريخية في حياة البشر ليعبر عن ألامهم وأمالهم في لحظات الضعف البشري أمام الّاوبئة والجوائح "فقد تحدث ادباء العربية القدماء عن: احوال "الطاعون" الذي حل بعمواس والقاهرة وابن الألبير 1997: 372/2، كما تناوله وتطرقت إليه كتب التاريخ والأدب، ولم كن الاوبئة تحل بالبلاد والعباد بعيدة عن الأدب وتعبيراته، بل إن أدباء اللغة العربية قد كتبوا كثيرا من الروايات التاريخية والأجناس الشعرية التي تعبر عن واقع الوباء وقد قال "ابن الوردي" عن طاعون الشام الذي مات فيه.

[1] عبد الملك مرتاض، الرواية العربية والتجريب الفن، المرجع السابق.
[2] المرجع السابق.
[3] المرجع السابق.
[4] المرجع السابق.

إِنَ الوَبَاء قَدْ غَلَبَـا وَقَـدْ بَـدَأَ فـــي حَلَبَـا
قَالُوا لَهُ عَلَى الوَرَقْ كَافً ورَا، قُلْتُ وَبَا".[1]

ويتمثل ذلك صرخات إنسانية تتم عن عمق التأثير الوجداني في حمل الألم والوجع وبث مشاعر الخوف والمناجاة الربانية في تفريج الكرب والإنسانية العميقة التي تمثل فلسفة الحياة حين يصغر الكون وتتشكل الرؤية أمام ناظر المبدعين.

فيترجم الأدباء مواقفهم من الحياة ويؤثر ذلك على التكوين اللساني في التعبير والتشكيل الجمالي في التصوير الشعري، لأن الصورة وسيلة لتكثيف الأثر الجمالي، وقد قالت "نازك الملائكة" في قصيدتها الكوليرا.

طَلَعَ الفَجْرُ
أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ.
فِي صَمْتَ الفَجْرِ، أَمضَعْ؟ أَنْظرْ رَكْبَ البَاكِينْ.
عَشْرَة أَمواتِ، عَشْرُ نَارْ
لاَ تدْحسْ، أَمْضِغْ لَلْبَاكِينَ
اسْمَعْ صَوْتَ الطِفْلِ المِسْكِينْ
مَوْتٌ، مَوْتٌ ضَاعَ العَدَدْ
مَوْتٌ، مَوْتٌ لَمْ يَبْقَ غَدُهْ.

يتجلى الشعور بالألم وقمة الوجع في الإفصاح عن مكنون الذات المعذبة التي تئن تحت نير الوباء الذي لا يرحم فتنشر ضروب النهايات غير السعيدة بين البشر "وقد عبر "طه حسين" في سيرته الذاتية الأيام عن انتشار وباء الكوليرا في مطلع القرن العشرين "20" ووصف لوعة فراق أهل بيته لأخيه طالب فقال:

[1] حسين عمر دراوشة، أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر، جامعة باتنة، الجزائر، المجلد (03)، العدد 1 مارس 2021، ص 10، بتصرف.

– هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكا ذريعا "ودمر مدنا وقرى ومحى أسرة كاملة (عبد الرزاق وفياض 2020 نت).

– فصور الأدب والشعر العربي حالة الهلع والرعب التي اجتاحت بلدانا بأسرها، كما نظر الأديب والشاعر "لويس صابونجي" قصيدة تتحدث عن انتشار الوباء".[1]

في قصيدة "نازك الملائكة الكوليرا التي تناولت فيها انتشار الوباء بمصر عام 1949م وتحدث عنها "أحمد شوقي" في مسرحيته شريعة الغاب عن الوباء وقصيدة "لوسي صابونجي" التي تتحدث عن انتشار الوباء في بلاد الشام ووصوله إلى الجزيرة العربية نهايات القرن التاسع عشر ومن جهة أخرى يحاول أدب الأوبئة بعث الأمل والحياة والحب بعيدا عن رائحة الألم والموت والعذاب كتب الاديب الكولومبي غابريال في هذا المقال عن "الحب في زمن الكوليرا" فتحدث فيها عن انتشار الوباء في المدينة الخيالية التي تدور فيها الأحداث لرواية في انتشاره إلى أمريكا اللاتينية في نهاية القرن التاسع عشر. "وألف الكاتب الانجليزي "دانيال ديفو" روايته "مجلة الطاعون" ووفر أدب الأوبئة مساحة خصبة للخيال العلمي والديستوبيا والكاتب الأمريكي "جيم غريس" في روايته "بيت الآفات" التي تصف انهيار المجتمع الأمريكي الذي يصربه وباء الطاعون".[2]

ونلاحظ حضور الأدب "الديستوبي" في العالم العربي فقد كتب الروائي المصري مُحَمَّد ربيع "رواية عطارد" التي تحدث فيها عن انتشار الكوليرا أو الإنفلونزا ليدل على الموت الذي يحصد سكان القاهرة بشكل مرعب ومخيف، يمثل أدب الأوبئة مادة أدبية خصبة يمكن من خلالها ممارسة الإبداع وغثراء المشهد اللغوي والنقدي والبلاغي لأنها تمنح المبدع محاور وافكار ومضامين لها تحولاتها الفكرية والثقافية والوحدانية التي تمثل مشاعر الأديب وأحاسيسه وانطباعاته خيال الوباء أو ينعكس ذلك على طبيعته وطريقة توصيل المعنى للجمهور.

[1] حسين عمر دراوشة، أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر، المرجع السابق، ص 10، 11 بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 12، 13. بتصرف

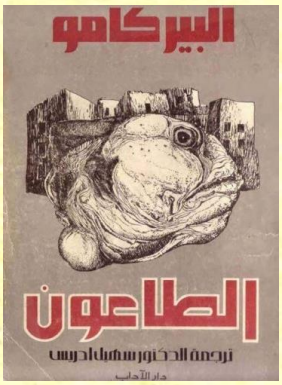

الفصل الأول

الوباء وتأثيره على الأدب السردي

المبحث الأول: مفاهيم حول الوباء

أولا: تعريف الوباء

1.الوباء لغة: أورد **الخليل ابن أحمد الفراهيدي** في كتابه "**العين**" تعريف الوباء لغة فقال: وبأ الوباء: مهموز: الطاعون، وهو أيضا كلّ مرض عام، تقول: أصاب أهل الكورة العام وباء شديد". وأرض وبئة، إذا كثر مرضها، وقد استوبأتها... وقد وبؤت وباءة، إذا كثرت أمراضها.[1]

وقال **ابن منظور**: "وبأ الواء: الطاعون بالقصر والمد، والهمز. وقيل هو كل مرض عام، وفي الحديث: إن هذا الوباء رجز، وجمع الممدود أوبئة، وجمع المقصور أوباء، وقد وَبِئَتِ الأَرْضُ تَوْبَأُ وَبَأً ووَبُؤَتْ وِبَاءً وَوِبَاءةٌ، وإِبَاءَةُ على البدل، وأَوْبَأَتْ إِيبَاءً ووُبِئَتْ تِيبَأُ وَبَاءً، وأرض وَبِيئَةٌ، على فَعِيلَةٌ ووَبِيئةٌ على فَعِلَةٍ، ومَوْبُوءةٌ ومُوبِئَةٌ: كثيرة الوباء.[2]

يتضح من المعنى اللغوي أن الوباء مرادف للطاعون، وهو مرض عام قاتل يصيب الإنسان، والكائنات المجهرية، من خلال فساد الهواء الذي يستنشقه الإنسان.

2.الوباء اصطلاحا: يعرف **علاء الدين ابن النفيس** في كتابة "**الموجز في الطب**" الوباء بقوله: "ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب سمائية أو أرضية فمن الأرضية: الماء الآسن، والجيف الكثيرة، كما يقع في مواضع المعركة، إذا لم تدفن القتلى، والتربة الكثيرة النّزّ، والكثيرة التعفن، وكثيرة الحشرات والضفادع".[3] أي أن الوباء فساد يظهر في الهواء، أو نتيجة تلوث الماء، ويكون بسبب انعدام النظافة وغيرها، ويصيب الحيوان، والإنسان ويفسد الأرض.

وقد ذكر **الجاحظ**: "أن العقعق إذا أحس بتلك الريح هرب من تلك الأرض، قال: "وكذلك الفأر يهرب من تحت الأرض". الوباء تلوث يعمّ ويجتاح حتى الحيوانات، والفئران والماشية لأنه سريع العدوى.[4]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، مادة (وبء)، الطبعة الأولى، المجلد8، دار الهلال، بيروت، لبنان، ص418.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وبأ)، الجزء15، الطبعة الثالثة ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999، ص197.

[3] الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: احمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، السعودية، د.ت، ص100، 101.

[4] الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المرجع السابق، ص101.

وفسر ابن خلدون ظهور الأوبئة بقوله: "أن وقع الوباء سببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن، والرطوبة الفاسدة، وإذا فسد الهواء وقع المرض في الرئة..".[1]

ويعرّف الوباء Epidemic في القسم الطبيّ من معجم "**ميريام ويبستر**" باللغة الإنجليزية كما يلي: "الوباء اسم تفشي مرض وبائي، يصيب أو يتجه إلى إصابة عدد كبير من أفراد ساكنة، أو جماعة، أو منطقة بصفة غير عادية، كما يعني الأزمة الصحية الحادة طويلة الأمد نسبيا والناتجة عن مرض شديد العدوى، وسريع يصاب به عدد كبير من الناس جماعة، وينتشر في منطقة جغرافية واسعة، كان الوباء مرض البيئة يصيب البيئة فيتأذى الإنسان".[2]

أمّا **منظمة الصحة العالمية** فتعرف الوباء على أنه: "انتشار مرض بشكل سريع في مكان محدد".[3]

إذن الوباء يعني انتشار مرض معين في مجموعة معينة من الناس في فترة محددة بمعدل حدوث أكثر مما كان معروفا في الحالات العادية في ذات المجتمع، أي حدوث حالات من مرض ما أو حدث آخر متعلق بالصحة في مجتمع معين أو بقعة جغرافية محددة بأعداد تفوق بوضوح ما.[4]

ثانيا: بعض المفاهيم المرتبطة بالوباء

1. **الطاعون**: هو مرض من الأمراض المعدية القاتلة، وهو مرض عام.[5]
2. **الجائحة**: تشير إلى حالة وباء انتشر في العديد من البلدان أو القارات وعادة ما يؤثر في عدد كبير من الناس.[6]

---

[1] عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم في ذوي الشأن الأكبر، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص376.

[2] محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل التحرر منه، الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والإجتماعي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، قطر، 2020، ص03.

[3] نسرين فالح حسن، دور منظمة الصحة العالمية في التعامل مع جائحة كورونا- دراسة في ضوء المواقف الدولية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، المجلد 1، العدد 40، 2021، ص703.

[4] علي سعدي عبد الزهرة، منظمة الصحة العالمية وكورونا –الأدوار والتحديات–، مجلة العلوم القانونية والإجتماعية، المجلد الخامس، العدد الرابع، 2020، ص624.

[5] فؤاد بن أحمد عطاء الله، فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون، دراسة ببلوغرافية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 09، العدد 04، 2020، ص553.

[6] حسن منديل حسن، اصطلاح الجائحة بين اللغة والفقه ومنظمة الصحة العالمية، مجلة الكلم، المجلد6، العدد01، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 2021، 21.

3. الإنفلونزا: وهو مرض يصيب الإنسان بواسطة فيروس من عائلة (H1N1)، وقد ظهر هذا المرض لأول في الولايات المتحدة، ثم انتقل الى اوروبا في صيف 1918 لكنه تفشى بشكل كبير في العاصمة الاسبانية مدريد ومنها عرف بالانفلونزا الإسبانية.[1]

4. الكوليرا: وهي مرض بكتيري معوي حاد قد يظهر في صورة حالات بسيطة يصاحبها إسهال فقط أو في صورة شديدة بدء فجائي ويصاحبها إسهال مائي غزير غير مؤلم واحيانا قيء وقد يؤدي إلى فقدان السوائل ممّا يؤدي إلى جفاف سريع وزيادة حمضية الدم وفشل كلوي، وفي الحالات التي لا تعالج قد يتعدى معدل الوفاة نسبة 50%. ويمكن أن يحدث وباء الكوليرا في أي مكان في العالم خاصة في الأماكن التي لا تتوفر بها المياه الصالحة للشرب وسلامة الغذاء والصرف الصحي وسبل النظافة الشخصية بصورة كافية[2].

5. كورونا: يعتبر فيروس كورونا من الأمراض المستجدة والمعدية التي تنتشر بشكل واسع في كل أرجاء المعمورة وهي من الفيروسات التاجية التي تصيب الجهاز التنفسي للفرد اطلقت منظمة الصحة العالمية عليها "كوفيد19" واعتبرته الإسم الرئيسي للمرض ومنه فيروسات كورونا وهي مجموعة من الفيروسات تسبب أمراض للثديات والطيور يسبب الفيروس في البشر عدوى في الجهاز التنفسي والتي تتضمن الزكام، وعادة ما تكون طفيفة ونادرا ما تكون قاتلة مثل متلازمة التنفسية الحادة الوخيمة ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية تنتمي فيروسات كورونا إلى فصيلة الكورونيات المستقيمة (الإسم العلمي Orthocoronavirim) ضمن فصيلة الفيروسات التاجية ضمن رتبة الفيروسات العشية.

وينتشر الفيروس من خلال أفواه او أنوف الأشخاص المصابين عن طريق السعال او التحدث أو حتى التنفس عبر الرذاذ وتنتقل العدوى من الشخص المصاب حتى وإن لم تظهر عليه الأعراض كالحمى، الارهاق، السعال الجاف، احتقان الأنف، الصداع وألم في الحلق الاسهال، وفقدان حاسة الشم والتذوق.[3]

---

[1] بشرى محمود الزوبعي، وباء الانفلونزا الإسبانية وأثره على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد بعد الحرب العالمية الأولى، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد07، العدد02، الجامعة المستنصرة، العراق، 2022، ص08.

[2] وزارة الصحة السعودية: http://www.moh.gov.sa ، اطلع عليه بتاريخ: 2025/03/09، على الساعة: 20:13.

[3] فلة كربوسة، الزهرة قيسي، أدب الجوائح رواية ربيع كورونا لأحمد الهادي رشراش، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر، تخصص الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة قاصدي مرباح، 2022/2021، ص15، 16.

ثالثا: الوباء في الأدب

لم يعرف الأدب العربي تسمية أدب الأوبئة إلا مؤخرا بظهور فيروس كورونا، رغم أنه تناول أعمال مثل "الطاعون" أو "الكوليرا". فعرف في الأدب العربي بـ"أدب الكوارث" حتى "أدب الطاعون" يمكن إدراجه ضمن "أدب الكوارث" أو "النوازل" الذي يتسم بقلة أدبياته بسبب بعد الشّقة بين أزمنة وقوع الطواعين والأوبئة، فكثيرا من أدباء اليوم لم يعيشوا وباء القرن الماضي.[1] ويتضح من هذا الكلام أن الوباء استقل بأدب خاص به يسمى اليوم بـ"أدب الأوبئة".

وقدّم الباحث عبد الغني خشّة تعريفا لأدب الأوبئة قائلا: "هو تلك الأعمال الأدبية، شعرية كانت أم نثرية التي تتخذ من موضوع الوباء محورا تبنى على أساسه قصة أو قصيدة أو رواية عن طريق استلهامه من الواقع الذي يعيشه أو يشاهده الأديب، فيكون هذا الأدب نسخة وصورة لهذا الواقع ومن مسمياته أيضا أدب الطاعون، ويصنف هذا الأدب ضمن ما يعرف بأدب الكوارث، وهو الأدب الذي يعنى بكل ما يعانيه الإنسان بسبب الأمراض والكوارث الطبيعية كالزلازل، أو الظواهر الإجتماعية كالإنتحار وغيرها؛ أي هو الأدب الذي يصوّر مآسي الإنسان".[2] ونستنتج من هذا التعريف أن الوباء هو تيمة كبرى في أدب الأوبئة، يتخذها المبدعون مادة اولية لرصد مآسي الإنسان، ويندرج ضمن أدب الكوارث الذي يصور الواقع الأليم عند حدوثها سواء كانت طبيعية أو اجتماعية.

أما ضياء عبد الله الكعبي يعرفه على أنه: "أدب كوني، أدب الجماعات الإنسانية الكبرى بمتخيلّها الجمعي، وحتى الشخصي، تشكَّل عبر قرون طويلة، وخلدته الذاكرة البشرية شعرا ونثرا، وأساطيرا وفي أصناف أدبية لا حصر لها، هو أدب عابر للقارات، والأجناس، والعرقيات، يتخطاها ليكون الجميع نموذجا واحدا. وهو العزلة والتأمل في الذات البشرية، هو أدب متعدد الاختصاصات ينفتح على التاريخ والفلسفة والأنطولوجيا والفنون وغيرها". [3]

---

[1] محمد سالم، أدب الأوبئة في التراث النقدي والبلاغي، دراسة في شعر علي الدرويش، دار إسطمبولي، المجلة العربية مداد، العدد11، قسم اللغة العربية، كليات اللغات والاتصال، جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا، 2020، ص72.

[2] عبد الغني خشة، الحب في زمن الكوليرا والكورونا بين الشعر والسرد، مجلة الموروث، المجلد10، العدد01، جامعة 1945، قالمة، الجزائر، 2021، ص214.

[3] ضياء عبد الله الكعبي، أدب الأوبئة بين الخيال والواقع، مجلة الاتحاد، العدد24، 2020، ص27.

ويتجه هاني اسماعيل، وعماد عبد الباقي الاتجاه في هذا السياق، حيث ورد تعريف أدب الأوبئة في آخر إصدار لهما على أنه: "يتكون من كافة الفنون الأدبية من شعر ونثر، وقد بدأ منذ العصور القديمة، وتناول الأوبئة المختلفة وما فعلته بالبلاد والعباد، وكيفية تعامل الناس مع تلك الأوبئة، فتظهر مجموعة من النصوص الأدبية الخلاقة الماتعة، التي تسهم في تخفيف الأوجاع وتقدم طرقا للتعامل معها".[1]

وتتفق هذه التعاريف في ضرورة الاعتراف بأدب اسمه "أدب الوباء" ولو لم يكن الالتفات لهذه التسمية واردا سابقا فأدب الوباء مادته الأوبئة، التي صوّر من خلالها المبدعون ما ترتب عن علاقة التأثير والتأثر بين الوباء والمجتمع، من مفاهيم متجسدة في أنواع وأجناس أدبية مختلفة.

[1] هاني اسماعيل، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر المعاصر، دراسات نقدية، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، ط1، 2021، ص19.

المبحث الثاني: قراءة وتحليل بعض روايات وقصص العصر الحديث في زمن الوباء

أولا: الأدب والأوبئة في العصر الحديث

يعدّ الأدب مرآة عاكسة لما يعيشه الإنسان في حياته باعتباره يعبّر عما يدور في نفسه من مشاعر وأفكار، فيبدع الكاتب في تصوير ما يحدث في الواقع، فيسجل في ذاكرة الإبداع نتاجات أدبية يحاول من خلالها أن يوثق الواقعة والحدث، فالأدب فن يعكس صور حياة الناس في المجتمع فلهذا نجد الأمراض تستفزّ إبداع الكاتب ليوظفها في أدبه. ومعلوم أن الأمراض والأوبئة ليست طارئة ومستجدة في حياة البشر، ذلك لأنها موغلة في القدم، والشواهد على ذلك كثيرة مثل الطاعون الأسود (1348-1350)، الكوليرا(1830-183)، الإنفلونزا الإسبانية (1918-1919)، الأنفلونزا الآسيوية (1957)، انفلونزا الطيور (1997) وغيرها من الجوائح التي عرفها الإنسان عبر امتداد الأزمنة وتوالي الأيام.[1]

ومع حلول سنة 2020 اهتزّ العالم على وقع انتشار وباء خطير لم يكن في الحسبان فيروس كورونا أو (كوفيد 19)، حيث سيطر على العالم بأسره، وزرع الرّعب والخوف لدى جميع الشّعوب نظرا لسرعة انتشاره، وانتقال العدوى من شخص إلى آخر، فوقفت الدول عاجزة على إيجاد الحلول النّاجعة أمام هذا الوباء الّذي أصبح شبحا مرعبا لا يفرّق بين صغير أو كبير، ولا بين امرأة أو رجل، فلم يكن أمامها من حلّ سوى اللّجوء إلى فرض الحجر الصحّي الّذي يحتّم على كل شخص البقاء في بيته والخروج إلاّ في وقت الضّرورة، فأُغلقت المرافق العمومية، والمدارس، والجامعات، وتوقفت الدّراسة، فأصبحت الحياة شبه متوقفة.[2]

وأمام هذا الظّرف العسير رفع الأدباء أقلامهم معبرّين ومصوّرين حال البلاد والعباد تحت وطأة الوباء فمنهم من كتب قصائد شعرية منها: ديوان الشاعر المصري مُحَمَّد الكفراوي بعنوان (مكان مشبوه)، وقصيدة للشاعر السوري نزار عابدين بعنوان (الحب في زمن الكورونا)، وقصيدة بعنوان (ليالي كورونا) لعبد الله بن عبده نعمان العواضي، وقصيدة (الحب في زمن كورونا) للشاعر التونسي حمة الهمامي.

---

[1] ياحي زليخة، أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراف الوقائع في رواية الطاعون القرمزي لجاك لندن، مجلة التواصل، العدد الخاص، مجلد28، جامعة الجزائر، 2022، ص3،4.

[2] عبد الغني خشة، تجليات كورونا في رواية ليليات رمادة لواسيني الأعرج: من العتبة إلى اللهو، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد16، العدد02، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2022، ص187، 188.

وفي الرّواية نجد (جرس إنذار) للكاتب السوري "إبراهيم اليوسف"، و(في قبضة الكابوس- يوميات حصار كورونا)، و(كجثة في رواية بوليسية) للروائية المغربية "عائشة البصري"، و(عدوى) للروائي الإيطالي "باولو جيور" (Giordano Paolo)، بالإضافة إلى مجموعة قصصية للقاصة الأمريكية "إلما والترز" بعنوان (هذا اليوم امرأة أصابها الجنون في السوبر ماركت)، و(لقاءات ممنوعة لأربعة عشر يوما)، وكلّها أعمال أدبيّة تناولت موضوع كورونا من زوايا متعدّدة، وجوانب مختلفة، حيث تطرقت لمختلف مناحي الحياة فصوّرت مشاعر الأفراد الّتي سيطر عليها الخوف والرّعب من الوباء.[1]

فلقد أعاد وباء كورونا الّذي بدا أشبه بالصدمة الحديث عن أدب الأوبئة إلى الواجهة نظرا لِما خلّفه من آثار على جميع المستويات، فكتب الأدباء معبرّين عنه، ومصوّرين ما آل إليه العالم في ظلّ انتشاره الرّهيب، وهنا تعدّدت الجوانب المعبرّ عنها من أديب إلى آخر، حيث صوّر بعضهم المآسي والوفيات، وعبرّ البعض الآخر عن الحجر الصحّي وفِراق الأهل والأحباب، وغيرها، فأضحى بذلك النصّ الأدبي سجّلا يحوي معاناة الإنسان جرّاء الوباء الّذي حوّل حياته إلى سجن مخيف حيث الخوف من الموت أصبح الهاجس الّذي لا يفارق كل شخص.

ويندرج "أدب الوباء" ضمن خانة الأدب المرحلي على حد رأي "أمينة لعلى" فهو أدب مناسبي يزداد بريقه بحلول زمنه وينطفئ ويختفي طيفه بزوال الوباء والأسباب، محفوظ في الذاكرة الإنسانية المؤقتة "ذاكرة الأوبئة وسردياتها الكبرى هي فقط ذاكرة لحظية تتداعى فقط عند حدوثها ثم تتلاشى لتسترجع من جديد". ورغم آنيته فقد خلدته الذاكرة في الكثير من مدوناتها التاريخية والفنية والأدبية وحتى الفلسفية.[2] ومع حلول زمن جائحة كورونا المستجد راح القارئ ينفض الغبار وينكش بين صفحات الآداب العالمية التي حاكت تيمة الوباء هروبا من حلول زمن الموت العبثي الذي يهدّد الإنسانية وأوقفها عنوة على طابور الروايات باختلاف مذاهبها ومنظورها يوميات الوباء المحمومة وهروب الإنسان من حتفه

[1] عبد الغني خشة، تجليات كورونا في رواية ليليات رمادة لواسيني الأعرج: من العتبة إلى اللهو، المرجع السابق، ص187.

[2] عواشرية وداد، تجليات جائحة كورونا في المنجز الروائي الجزائري – رواية "عدو غير مرئي" لبومدين بلكبير أنموذجا، مجلة إحالات، المجلد06، العدد خاص، جامعة محمّد لمين بداغين، سطيف، 2024، ص161.

ومأزقية وجوده، محاولين من خلال إبداعاتهم رصد الواقع حينا واستشراف المستقبل حينا آخر بحثا عن حل.

فكانت بذلك كورونا مصدر إلهام للأدباء، حيث أنتجوا نصوصا أدبية تتماشى والظرف الراهن الذي يعيشه العالم، وتعبّر عنه بل تحولت إلى قضية وتيمة طبعت معظم الأعمال التي صدرت طوال مدة الوباء، فكل أديب صورها حسب رؤيته وطريقته الخاصة حيث تكلموا عن مشاعر الفقد وألم الفراق وآلام المرضى في المستشفيات ومشاعر المحبوسين في البيوت الخائفين من العدوى أو الملتزمين بالقوانين وطبيعة الحياة الجديدة أو الفارين إلى جغرافيا أخرى هربا من الموت المحدق بالجميع بسبب الوباء المنتشر.[1]

وفتح موضوع كورونا المجال واسعا أمام الأدباء للتعبير عن قضايا أخرى سياسية واجتماعية وثقافية معتمدين الرمز لتبليغ رسائل إلى القارئ فتميزت النصوص المعبرة عن الوباء بطغيان النقد اللاذع للأوضاع الراهنة، فتجلت كورونا لنقطة مركزية في النصوص الأدبية وكان لها رمزيتها التي تحيل إلى العديد من الدلالات والإيحاءات.[2]

وبما أن وباء كورونا ظهر في ظل الألفية الرقمية، فكان من الطبيعي أن يتأثر الإبداع الأدبي بهذه الطفرة التقنية التي أذهلت الإنسان المعاصر وقلبت حياته، فكان لظهور الأدب الرقمي وقع خاص على الساحة الأدبية والنقدية سرعت في بناء هوية أدبية جديدة تولدت في ظلها أشكال تعبير وأنماط أدبية رقمية رافقت ذلك الزخم التقني الهائل على غرار الرواية التفاعلية سعى كتابها من خلال استثمار الوسائط الرقمية والروافد الرمزية والأيقونية إلى ابداع شكل سردي جديد متطور، يفسح للمتلقي مساحة للتفاعل.[3]

والرواية التفاعلية هي فرع من فروع الرواية الرقمية وهي نسق سردي تفاعلي مواكب للتطور التكنولوجي المعاصر يتجسد كبناء فني يستثمر التقنيات الحاسوبية والوسائط الرقمية المتاحة في تقديم متنه للمتلقي ويعتمد هذا الشكل الروائي السمة التفاعلية كركيزة أساسية في بنائه، وذلك راجع للعلاقة الحوارية

[1] هاني اسماعيل رمضان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كوورنا في الشعر المعاصر – دراسة نقدية– الطبعة الأولى، المندى العربي التركي للتبادل اللغوي، ص18.

[2] عبد الغني خشة، تجليات كورونا في رواية ليليات رمادة لواسيني الأعرج: من العتبة إلى اللهو، المرجع السابق، ص189.

[3] شينة نصيرة، تشكل السرد الروائي في العالم الافتراضي: قراءة في تجربة "ليليات رمادة" لواسيني الأعرج، مجلة آفاق علمية، المجلد 16، العدد02، المركز الجامعي بريكة، قسم اللغة والأدب العربي، معهد الآداب واللغات، 2024، ص291.

القائمة بين المؤلف الرقمي والمتلقي الرقمي بالاستعانة بالتقنية الرقمية والروابط التفاعلية والأيقونات وكل العلامات والأنساق الدلالية التي تسهم في تفعيل شكل من التفاعل التواصلي بين هذين الطرفين، فلا يكتفي القارئ بالتلقي بل يفتح له الرواية التفاعلية المجال ليغدو روائيا مشاركا للكاتب في انتاج النص.

وتختلف الرواية التفاعلية عن الرواية الورقية في مسارها العمودي اللاخطي، فهي لا تتبع المسار الخطي الأحادي الاتجاه الذي عهدناه في الرواية التقليدية، حيث يستقبل المتلقي المحتوى في النص الروائي التفاعلي في طبقات مختلفة مؤسسة للمعنى في كل مستوى، ومترابطة فيما بينها، فهو بذلك يغوص في النص عموديا متلقيا اللغة والعلامات الأيقونية غير اللغوية من ألوان ورسوم وصور معا وبشكل متصل، فهو لا يحاور في النص مستوى دون آخر بشكل مستقل، بل يتلقاها معا ويتفاعل معها كلية. [1]

وتتقاطع الرواية التفاعلية مع الرواية الورقية في محافظتها على العناصر السردية الأساسية في العمل الروائي كالزمان والمكان والأحداث والشخوص والحوار، وبذلك يمكن اعتبار الرواية التفاعلية بوصفها امتدادا للرواية التقليدية اضافة حقيقية وجمالية إلى البناء الفني للرواية في مسار تطورها، ذلك أن التجديد لا يقف على الموضوعات أو تقنيات السرد وحدها، بل يتجلى كذلك في أسلوب الطرح وطريقة التقديم، إذ تعزز الوسائط الرقمية عنصر التشويق في العمل الروائي وتختزل الصورة البصرية معان ودلالات تعجز اللغة أحيانا عن ترجمتها بالكلمات. [2]

ترتكز الرواية التفاعيلة على مبدأ التفاعل فهو دعامة الأدب الجديد وهو بصورة عامة من أساسيات التواصل الإنساني كما أنه يمثل ممارسته اجتماعية تعبر عن الاستجابة المتبادلة بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، وقد اهتم الباحث "سعيد يقطين" بمفهوم التفاعلية في كتابه "من النص إلى النص المترابط" مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي منطلقا من أن التفاعل يكون إما بين علامات النص الداخلية والخارجية أو بين متتبع النص وقارئه، [3] فثمة تفاعل ابداعي يتمثل في إضافات وتعديلات من شأنها أن تسهم في توليد نص جديد، لأن الرواية في ارتباطها بالوسيط التكنولوجي تعدّ إبداعا وأداة إبداع وفضاء إبداع في الوقت نفسه.

---

[1] شينة نصيرة، المرجع السابق، ص295.

[2] المرجع نفسه، ص294

[3] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص197.

فمثلا عمّد الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" من خلال رواية "ليليات رمادة" والتي تنتمي إلى أدب العزلة أو ما يعرف بأدب الجائحة عبر صفحات الفيسبوك إلى تصوير ما عايشته البشرية من مخاوف ومعاناة وعزلة والتعبير عن تلك الهواجس والمشاعر القلقة المترقبة إبان تفشي وباء كورونا وفي أوج فتكه بالناس. وتعدّ هذه الرواية من بواكير الأعمال الأدبية التي كتبت عن جائحة كورونا حاول الأعرج من خلالها حقن جرعات من الأمل في نفوس القراء، والترفيه عنهم بإيهائهم عن عزلتهم وتحويل تركيزهم على مشاهد الحزن واليأس والفناء إلى شغف التأمل الفلسفي في الوجود، وفي الغاية من الحياة نفسها بتناقضاتها ومفارقاتها والانشغال بتأويل تفاصيل الرواية وفك شيفرات رسائل الكاتب المخبوءة فيها.

فحين قرر "واسيني" أن يشرك قراءه في أجزاء روايته أخذ ينشر فصلين منها يومي الخميس والأحد من كل أسبوع على صفحته على الفيسبوك ومع نشر الفصل الأول ومشاركته القراء تفاجأ من تفاعلهم الكبير مع النص المنشور وهو ما فاق حدود توقعاه ما أعطاه دفعا لمواصلة التجربة والتمادي في المغامرة.

كما اعتمد الكاتب على نتاج تفاعل افتراضي مع قرائه ومتابعيه ليسرد تفاصيل الصراعات المختلفة الناجمة عن انتشار "وباء كوفيد19" وبقية الصراعات السياسية في مدينة خيالية مستوحاة من الأحداث الواقعية في مختلف دول العالم الثالث، حيث يقول "واسيني": "الأمر كان يشبه اللعبة، لكنها جادة وليست سهلة، بها كثير من الالتزام الأخلاقي تجاه القراء، ومزيد من الإثارة في أثناء ممارسته الكتابة تحت الضغط.[1]

لقد أفرزت الجائحة كتابة جديدة لدى واسيني لم يجربها هو قبلا ولم يعهدها جمهوره في كتاباته، لذلك يمكن وضع النقاشات التي كانت تدور حول الرواية من خلال صفحة الفايسبوك في خانة التجريب الروائي، فالقارئ الإفتراضي في الرواية التفاعلية هو قارئ متفوق، يرافق المبدع في عملية الكتابة ويتدخل في العملية الإبداعية، ويدخل في العملية الإبداعية حسب ذوقه حتى كان الروائي يكتب له ومن أجله، فيتحاوران ويتجادلان ويقترح حذف هذا أو تعديل هذا أو زيادة كذا، في جو استثنائي من

[1] شينة نصيرة، المرجع السابق، ص295.

التفاعل والتداخل بين الأذواق والآراء فكانت ورشة الكتابة التي تبناها "واسيني" ناجحة ومثمرة إلى أبعد الحدود، حيث يرى الروائي الفلسطيني "جميل السحلوت" أن جائحة كورونا تشكل مرحلة تاريخية على مستوى العالم وستتغير قيم ومفاهيم وموازين قوى على مستوى العالم وسيؤرخ ما قبل كورونا وما بعدها. فالعالم جميعه تساوى أما هذا الوباء القاتل، ويبيّن "السحلوت" أن الكاتب ابن بيئته وبسبب التقدم التكنولوجي الهائل وتطور وسائل الاتصالات والمواصلات فقد أصبح العالم قرية واحدة، ورغم الكتابات المختلفة والمتعددة عن هذا الوباء إلا أن أفضل ما سيكتب عنه هو بعد انتهاء مرحلته، وحسب تقديره فإن النزعة الإنسانية ستسمو في النصوص الأدبية في المرحلة المقبلة لأن المعاناة والتجربة المشتركة تخلق أدبا انسانيا مشتركا،[1] بمعنى أن جائحة كورونا عملت على إعادة بناء وتنظيم العالم وجعلته يكتب مستقبله ويساوي بين أبناء البشر، فبفضل هذه الجائحة تساوي الناس وتساوت أفكارهم، وحدّد جهودهم للخلاص والخروج من هذا الوباء، كما أنه بفضل الكتابات والمؤلفات التي وضعها الكتاب والأدباء حول الجائحة فإنها سوف تكون للأجيال القادمة عبارة عن بوصلة للنجاة من أوبئة ومخاطر مشابهة للوباء، إذ أنه ما سوف يكتب بعد انتهاء الجائحة سيكون أكثر إفادة لأنه سوف يتحدث عن جميع مراحل الوباء ابتداء من أول تفشي الجائحة مرور بالكوارث البشرية التي خلفتها وصول إلى أهم النتائج التي ساعدت على انتهائها.[2]

وفي ظل وباء كورونا المستجد ظهرت بعض الأعمال الروائية الجزائرية التي سايرت الأحداث الوبائية ليعود الاهتمام إلى هذا النوع من الأدب لفهم اللحظة الراهنة، وفهم ظاهرة مغيبة في ذهن الجبل التكنولوجي الذي لطالما ربط الأوبئة بالإنسان البدائي، ولن تمسه وهو في قمة حداثته وتطوره ولعل من أبرز الروايات الجزائرية التي جعلت من الوباء المستجد تيمة نجد:

- رواية (ليليات رمادة) لواسيني الأعرج: تعد من بواكير الأعمال الروائية العربية الجزائرية التي كتبت تراتيل الموت، وجعلت من فيروس كورونا متكأ لها وتيمة من تيماتها، فقد حاك الجرح الوبائي، وتراجيليات

[1] علي لفتة سعيد، كورونا كمفصل تاريخي - هل سينتج أدبا جديدا بعد كورونا-، القدس العربي، ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.alquds.co.uk، اطلع عليه بتاريخ: 2025/03/09، على الساعة: 23:53.

[2] فلة كربوسة، الزهرة قيسي، مرجع سابق، ص20

الموت، ويوميات الإخفاق، وحلول زمن العزلة والعودة إلى الكهف (البيت)، هذا المكان الحميمي الذي أفقدته التكنولوجيا وجردته من حميميته ليستعيد مكانته بحلول زمن الوباء الذي حد من جبروت الإنسانية، وعنفوانها وأوقفها مع الذات، بحثا عن الحلول لهذا الفيروس الذي تكالب على الإنسانية. كما حاول من خلال الرواية فضح وتعرية الواقع الوبائي السياسي والأخلاقي، والإجتماعي.

– رواية (زمن العزلة) للكاتبة أوكلي نور الهدى: رواية ولدت من رحم كارثة كورونا حيث حاولت الروائية محاولة تسجيل الحدث وتوثيقه عقب حلول الوباء وتفشيه في الجزائر حيث حاولت محاكاة الواقع الجزائري عن قرب باعتبارها طبيبة مختصة في الأوبئة مما جعل محاكاتها للوضع تكون من زاوية مختلفة مختصة، تميّز منظور أصحاب المؤازر البيضاء عن غيرهم.[1]

– يوميات (عدو غير مرئي) للروائي الجزائري بومدين بلكبير: إصدار جزائري آخر احتفى بالوباء، وقلب مواجعه جاء في شكل يوميات باعتبار أن هذا القالب السردي موائم لصب ذكريات الأنا بآمالها، وآلامها حفاظا عليها من تقلبات الزمن وتقرحاته عاد هذا الجنس الأدبي، إلى الواجهة ليبث في النصوص السردية المولودة أثناء المد الكوروني رغم أنه تقليد أدبي غربي يمتد إلى القرن الثامن عشر لتتحول كتابة اليوميات وسرديات الذات ملاذا للكثيرين هروبا من هول الفاجعة ورضوخا للإجراءات الردعية للحد من مد الجائحة فالهروب من الآخر يقتضي البديل لتكتب الذات تجربة استثنائية مدادها الألم، والوجع والقلق. لقد طفت إلى سطح الساحة الأدبية العربية يوميات عدة منها: "(يوميات ساخرة لخائف كورونا) لكامل النصيرات (الست كورونا) لعادل الأسطة، (حياة تتهدد) لعبد الزهرة زكي ولؤي حمزة، (تحت ضلال كورونا)للدكتور سليمان القرشي، (خلف القضبان كورونا) لعبد الإله بلقريز، وريم العيسى في كتابها (أيامي في زمن الكورونا)".[2]

[1] عواشرية وداد، مرجع السابق، ص167.

[2] فهد إبراهيم سعد البكر، السرديات الوبائية في زمن الكورونا "قراءة أجناسية أولى لبعض النماذج المواكبة"، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ، المجلد7، العدد2، ص293.

ثانيا: قراءة لتجليات صورة الوباء في رواية عدو غير مرئي

1.الوباء وتجلياته في صورته الرمزية: تناولت الأعمال الأدبية الوباء وقامت بتوظيفه في مستويات عدة فبين الواقعية، والرمز حضر الوباء في الأدب كرمز وخطر من نوع آخر يفتك بالإنسانية أكثر من الفيروسات الطبيعية. ليعري أنساق ثقافية مضمرة رابضة خلف المتجلي ومحاولة النبش في المناطق المطمورة، فاليوميات حاولت نكش الواقع الثقافي الجزائري المهزوم والمأزوم والخوض في دهاليزه وتسليط الضوء على شخصية المثقف هذه الشخصية التي لطالما اجتاحت بإيجابيتها، وسلبياتها صفحات الروايات كشخصية مهيمنة باعتبارها ضمير الأمة والشعلة التي تنير طريق الدهماء من معطوبين ومكسورين وتواقين لمعانقة الحرية، في ظلّ مرارة العيش وقسوته وقتامة الوضع السياسي، والاجتماعي يجد المثقف العربي عموما والجزائري خصوصا نفسه تتلاطمه أمواج الشك والضياع ليتراجع دوره تدريجيا نتيجة حتمية لسياسة الأفواه المكمومة والحريات المسلوبة، وسياسة التدجين، التي أوقعت المثقف في الشراك ليتخلى طوعا عن صوته الحضاري ويكف عن ممارسة فوضاه فالمثقف الثوري المشاكس الرافض للاحتماء بمظلة السياسة سيكون مآله التهميش وتلفيق التهم مما ينجم عنه إما الهروب أو الإغتراب والبحث عن جغرافيا أخرى لممارسة الحرية وإما أن يكف عن الكلام المباح ويغلق أبوابه ويدخل في غربة من نوع آخر إنها غربة الذات ستكون الكآبة والشجن رفيقاه بعد أن تجهض أحلامه وتتبخر تطلعاته فالهروب من الواقع شكل من أشكال تجاوز المعضلات لقد صور النص، المثقف في صور جمة فبطل اليوميات ينتمي إلى الطبقة المثقفة غير أننا نجده في الكثير من الأحيان يفضل البقاء في صومعته بعيدا عن التشرذم والضياع والشتات والتشوه والمسخ الرابض خلف أسوار غرفته ليمارس طقوس رهبانيته سواء بالتأمل أو القراءة أو الكتابة أو تصفح أروقة منصات التواصل الإجتماعي التي أصبحت بمثابة المتنفس الذي يبث المثقف من خلاله آراءه في ظل غلق جل المرافق الثقافية رغم تحولها من وسيلة لتواصل إلى وسيلة لتراشق وبث الآراء وتبادلها.[1]

[1] عواشرية وداد، مرجع السابق، ص170.

2. الوباء وتجلياته الإجتماعية: الأدب لا يولد من فراغ فالأديب مرآة عاكسة لواقعه ولا يخرج من معالجة مختلف الظواهر الإجتماعية أعادت اليوميات أحداث واقعية إلى الواجهة صاحبت الجزائري أثناء فترة الوباء. كنقص الأكسجين والموت خنقا، الغلاء الفاحش الذي أنهك الجيوب ونخرها، العطش، البيروقراطية في مختلف القطاعات، الحراك الشعبي النزاعات السياسية، الحرائق التي اجتاحت مختلف مناطق الوطن وأتت على الأخضر واليابس وموازاتا معها ازداد منسوب العنف في الجزائر على غرار العالم واشتعل فتيل الفتنة وطفا خطاب الكراهية إلى السطح عقب دخوله في سبات ليس بطويل عقب أحداث منطقة القبائل الكبرى يقول الكاتب: "الساعة التاسعة والنصف أشاهد فيديو يصور القبض على مشتبه فيه في إشعال حريق في غابة ناث إيراثن ... ثم فيديو آخر للركلات وهي تنهال عليه من قبل الناس وهو داخل سيارة الشرطة .. اختطفوه .. ضربوه .. ولاحقا احرقوه .. التقطوا مع الجثة المتفحمة صور طفت الهمجية، والوحشية الإنسانية من خلال هذا المقطع وتجردت من قيمها ومن مساراتها النضالية في مجال الحقوق والحريات إنه العنف في أبشع صوره عنف في صورة بدائية ومظاهره لم تخرج عن الممارسات الإستعمارية القديمة وما شاهدناه في الثورة التحريرية، والعشرية السوداء، ربما الأمر ليس بغريب وليس سوى نتيجة حتمية ناجمة عن التراكمات والضغوط، ليتحول العنف مشهدا يوميا في حياة الجزائري وفي ظل تفشيه تنامى خطاب الكراهية الذي يعد من أخطر المعضلات التي تهدد المجتمعات ...".[1]

ثالثا: تحليل أهم الروايات والقصص الغربية والعربية التي تناولت موضوع الوباء

1. الرواية الغربية:

أ. **حكايات كانترابري لجيوفري 1387-1400:** تعدّ مجموعة من القصص بدأ الروائي في تحرير ورقاتها من 1387 إلى غاية 1400 أين وافته المنية قبل إكمالها، ويفترض أن العمل في شكله النهائي سيفضى إلى مئة وعشرين قصة تروى على لسان ثلاثين حاجا، يتوجهون في رحلة حج ذهابا وإيابا من لندن إلى كانتربري، ويجتمعون في نزل على طريقهم، وفي النزل يقترح عليهم صاحبه أن يرو كل حاج منهم قصتين في طريق الذهاب، وأخرتين في طريق العودة، وتكون مكافأة صاحب القصة الأجمل هي تناول

[1] عواشرية وداد، مرجع السابق، ص171، 172.

العشاء مجانا في النزل، وهكذا يبدأ الحجاج في القص لكن دون أن تكتمل القصص بسبب وفاة الروائي. جعل الكاتب شخصياته من مختلف فئات المجتمع من حرفيين، وبرجوازيين وبحارة وتجار وعاطلين عن العمل وربات بيوت، متمكنا بذلك من رسم صورة واضحة للمجتمع الإنجليزي في ذلك الحين، وعمل على الربط بين القصص من خلال الجدل القائم بين الحجاج، فمثلا يقصّ الأول تحمل دلالة تخص طبقة أو فئة معينة فيردّ الثاني على الفكرة ذاتها بقصة أخرى، فمثلا عرض أحدهم فكرة عبر إحدى القصص، وهي فكرة تحكم المرأة البرجوازية في الرجل، فرد الموظف بقصة أخرى على أن هذه السيطرة هي لبّ التعاسة عند الرجل.[1]

وتعرض إحدى القصص كيف اجتاح وباء الطاعون أوروبا في القرن 14 والذي عرف بالموت الأسود، في رمزية ساخرة من رجال الكنيسة الذين لطالما ادعوا الصالح العام والورع، وهم في الحقيقة لا تهمهم سوى مصالحهم الشخصية من خلال الهيمنة التامة على كل قطاعات المجتمع الإنجليزي.

ويشير القاصّ في هذا العمل إلى بداية انهيار نظام الكنيسة في زمن الطاعون، حيث بدأت كل القطاعات تنفصل عنها شيئا فشيئا حتى تنال استقلالها الكلّي، ومن هنا يعدّ الوباء وسيلة كاشفة لزيف الدين ورجاله.[2]

ب. الطاعون القرمزي لجاك لندن 1912: تناولت الرواية أحداثا خيالية حول انتشار وبائل هائل، لا يمكن السيطرة عليه، يقضي بعد ستين عاما على معظم سكان الأرض، يوكون الناجي الوحيد هو الجدّ "جيمس سميث" مع قلائل آخرين، ويتولى بعد ستين سنة رواية ما حدث له وهو صغير لأحفاده، الذين يعملون صيادين بدائيين، وجامعي ثمار في عالم مستقر، غير مزدحم لكنه يخلو من أي مظاهر للحضارة او التطور، لأن الوباء قضى على معالمه، فتختفي الأنظمة، يوعد الإنسان للاستئناس ببعض الحيوانات، ويبيد بعضها الآخر المعادي له بأسلحة ما قبل التاريخ ليكون الطاعون القرمزي في الرواية محيلا قويا للتفكير في النهاية، فيطرح سؤالا مهما هو: هل يمكن البدء بعد النهاية؟ وكيف سيكون ذلك؟

---

[1] هجيرة بن صميدة، الموضوعات الكبرى في أدب الأوبئة – دراسة في نماذج مختارة- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، في الطور الثالث، إختصاص أدب معاصر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2025/2024، ص102، 103.

[2] جيفري تشوسر، حكايات كانتربري، تر: مجدي وهبة-عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983.

تناول الروائي في هذا السياق مواضيع مهمة حول تطور الإنسان، ونمو سلوكه، وتطور عقليته، ودوره في نمط حياته، بما في ذلك البعد الأخلاقي للوجود الإنساني، فكان الوباء نقطة تحول حاسمة لمستقبل مختلف عما نتركه وراءنا، لأن الكارثة كافية لدفع الإنسان إلى إعادة التفكير في سلوكه فالماضي بالنسبة للجد رغم التطور الحضاري كان هشا أمام فتك الوباء، الذي كشف جشع المجتمع، وتوحشه، فلم تكن نجاة الجد بين اللصوص والعصابات والجائعين المستعدين للانقضاض على كل ما يتحرك سهلة أبدا.[1]

ج. رواية عيون الظلام للروائي الأمريكي لدين كونتر 1981: رواية عيون الظلام للروائي الأمريكي لدين كونتر الصادرة عام 1981 وهي رواية باللغة الإنجليزية ترجمت حديثا للعربية خيالية[2] أثارت كلاما كثيرا حولها خاصة بعد أن ظهر وباء كورونا والتي حملت في طياتها إشارة لفيروس يقضي على البشرية كسلاح بيولوجي يخرج من مدينة ووهان الصينية التي يحمل اسمها ووهان 400 وإن كانت في طبعاتها الأولى أن الفيروس الذي ينتشر في العالم من ينطلق من مدينة كوركي الروسية لكنها غيرت في الطبعة الأخيرة إلى ووهان الصينية.[3]

وإذا عقدنا موازنة بين الفيروسين كورونا الواقعي ووهان 400 الخيالي أو الافتراضي في الرواية رغم التقارب الحدثي والمكاني في انطلاق هذا الفيروس من مركز الأبحاث الوطنية الصينية في ووهان وسرعة انتشاره وقضاءه على البشرية بنسبة عالية إلا أنه يختلف عن كورونا الذي كما يزعم العلماء بأنه انتقل من الحيوانات إلى البشر بعد أن طوره نفسه، فضلا عن أن كون كورونا لم يقض إلا على 2% من المصابين في العالم كله في حين أن الفيروس الافتراضي يقضي على البشرية بما يقارب 99% وأنه يصيب خلايا المخ إذ ينتقل الفيروس إلى جذع الدماغ، وهناك يبدأ في افراز مواد سامة تتلف الدماغ فإنه يدمر مركز الدماغ المسؤولة عن وظائف الجسم كما يختلفان أيضا بسرعة الإصابة إذ نجد أن كورونا الحقيقي تتراوح مدة الإصابة وحتى الشفاء ما بين 14-28 يوم في حين ووهان 400 الافتراضي لا تتجاوز مدة الإصابة فيه ووفاة المصاب إلا اثنتا عشرة ساعة فقط[4].

[1] جاك لندن، الطاعون القرمزي، تر: الزهراء سامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2020.
[2] دين كونتز، عيون الظلام، تر: هبة جابري، سما للنشر والتوزيع، مصر، 2020، ص5- ص30.
[3] المرجع نفسه، ص265.
[4] المرجع نفسه، ص266.

تتحدث الرواية عن أم تبحث عن ابنها المتوفي وسبب وفاته لتكتشف أن ابنها لا يزال حيا لكنه قد حقن بفيروس ووهان 400 من قبل الجيش الأمريكي وتحويله إلى سلاح فتاك يقضي على الأعداء بسرعة عالية ومثالية.

تعدّ هذه الرواية الآن في العالم في المرتبة الأولى من حيث القراء وجاء ازدياد الطلب عليها بعد انتشار وباء كورونا وإذا عدنا إلى سبب اختلاف اسم الفيروس والمدينة التي اكتشف فيها وتحولها من مدينة كوركي 400 الروسية إلى مدينة ووهان الصينية وحمله لإسمها ووهان 400 ربما يعود ذلك لعدة أسباب سياسية وهذا ما يراه جميع من تطرق لموضوع لهذه الرواية في مقالاتهم التي تناولت الموازنة بين الفيروسين[1].

د. رواية الحب في زمن الكوليرا: غابرييل غارسيا ماركيز: غابرييل غارسيا ماركيز، روائي وصحفي وناشر وناشط سياسي كولومبي ولد في أراكاتاكا، ماجدالينا في كولومبيا سنة 1927 تحصل على نوبل للآداب سنة 1982. من أهم أعماله "مئة عام من العزلة" وله أيضا "ذكريات غانيات حزينات" و"خريف البطريك" روايته موضوع الدراسة التي صدرت عام 1985 تدور حول حب بدأ في سن المراهقة لينتهي بالزواج بعد بلوغهم العقد السابع من أعمارهم ففي نهاية القرن التاسع عشر الماضي وبداية القرن العشرين، يحاول الروائي أن يضعنا في زمن الحروب والأوبئة، في زمن يصحو فيه مجتمعه من بعد سبات القرون الوسطى ليشاهد إنجازات العلم وتقدمه في القرن العشرين وانعكاسات هذه الانجازات على الصعيد الاجتماعي والإنساني.[2]

وماركيز يعالج في روايته الحب المحاصر بالحروب والأهلية والأوبئة وقد استوحى فكرة روايته من قصة حب بين أمه وأبيه ثم أضاف لها حبكة بقصة قرأها في الصحف عن حب كان بين عجوزين وانتهى نهاية مأساوية ذكرها في روايته.

[1] دين كونتز، المرجع السابق، ص267-269.

[2] غابرييل غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، تر: صالح علماني، الطبعة الأولى، دانة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1991، ص5.

رواية الحب في زمن الكوليرا غنية بالسرد وفنونه التي جعلت منها متميزة في كل شيء، تتحدث عن شاب في الثامنة عشرة من عمره اسمه فلورينتيو تعرف على فتاة تدعى فيرمينا بمحض الصدفة، فلورينتيو الموظف في دائرة البريد كان محط إعجاب الفتيات، فهو الأكثر شهرة في الوسط الإجتماعي لذلك عاش مغامرات كثيرة مع فتيات المدينة ليعتزل كل ذلك بعد تعرفه فيرمينا.[1]

ربّما صدفة جمعته بها عندما أوصل برقية إلى شخص بلا عنوان اسمه لورينثو داثا والد فيرمينا، جمعته نظرة ساحرة لصبية وهو يمر عبر النافذة عندما كانت تجالس إمرأة مسنة تقرآن في كتاب هذه النظرة العابرة أشلت تفكيره فلورنتينو وجعلت قلبه ينسى كل الفتيات ويتعلق بها ويولد داخله حب لم ينته بعد مرور خمسة عقود من الزمن تقريبا.

كانت حياة العاشقين خالية من المفاجآت تمثل حبا مثالثا مستقرا لأعوام، كان خلالها يتبادلان الرسائل الغرامية ووعود الوفاء والبقاء على عهود الزواج، إلى أن علم الأب بعلاقة ابنته فتحولت حياة العاشقين إلى جحيم وخاصة بعد قرار الأب المغادرة من المدينة إلى الأبد هربا من العار الذي ألحقته به ابنته المتمردة، ومحاولة إيجاد زوج مناسب لها، وهنا يحاول أن يعكس لنا ماركيز في سرد صرامة الجيل اللاتيني في الحفاظ على عرضه.

إنّ سرعة الأحداث في الرواية وزواج فيرمينا من الطبيب الارستقراطي خوفينال أوربنيو صاحب الشهرة الواسعة بالمدينة والمنطقة، ضغط الأحداث والظروف الإجتماعية للفتاة وقدسية الزواج الكاثوليكي وانجاب الأبناء جعلتها تنسى موظف البريد ذلك المسكين العاشق في مقابل ذلك نجد فلورينتينو يثابر بكل جهد ليصنع لنفسه اسما لامعا ويكوّن ثروة ضخمة تجعله قادرا على استعادة حبيبته من زوجها.

في سرد واقعي سحري تتشابك الأحداث بطريقة مشوقة، يتوفى الطبيب خوفينال أروبينو بعد نصف قرن من الزواج بسبب محاولته الفاشلة للإمساك ببغائه الوقحة، فيذهب فلورينتينو إلى الجنازة ليقدم بين يدي حبيبته الأبدية عهد الوفاء إذ قال لها: "لقد انتظرت هذه الفرصة لأكثر من نصف قرن لأكرر لك مرة أخرى قسم وفائي الأبدي وحبي الدائم".[2]

[1] جيرالد مارتن، سيرة حياة غارسيا ماركيز، تر: مُحَمَّد درويش، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2010، ص554.

[2] غابرييل غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، تر: صالح علماني، الطبعة الأولى، دانة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1991، ص98.

أثبت ماركيز في روايته أن الحب الحقيقي ينقل الإنسان من الظلام إلى النور ومن اليأس إلى الأمل ومن الحزن إلى السعادة ومن الضعف إلى القوة ومن الفقر إلى الغنى، ومن انسان بسيط الفهم إلى انسان مفكر ومبدع، وأن ما يمرّ به من ظروف يبقى أمل الحب ينير طريقه ويمده بأسباب الحياة.[1]

نجح ماركيز في سرده الفريد، ذاك السرد الذي يجمع الواقعية والسحر، الغريب بالعجيب الذي استند على فلسفة العلاقة الغرامية المرتكزة على الأبدية كأساس لها، هذه العلاقة تقوم على الثنائيات الضحك والبكاء، الخوف والأمان، الحزن والفرح، الحضور والغياب، الانتصار والهزيمة ليثبت للمتلقي العام عبر الأزمان بطريقة جميلة ولطيفة وبطريقة واضحة لا غبار عليها ان الحب مستمر في كل الأزمنة، وفي كل الظروف، وفي مراحل العمر كلها، فلا المراهقة ولا سطوة الأب ولا الشيخوخة تمنع الحب الصادق فهو شعور جميل ساحر وصحي بنفس الوقت لا يمكنك إلا الضياع والتماهي فيه.

يقول الناقد المكسيكي إيمانويل كاربايو في تعليقه على الرواية إنه عندما قرأها في نسختها الأولى وجد نفسه أمام واحدة من أعظم الروايات في القرن العشرين، ويضيف الناقد "أن ماركيز بأعماله الروائية قد أقام إلى جانب روائيين آخرين أسس وقواعد الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية من خلال تحليله العميق لواقع الإنسان الأمريكي اللاتيني ومعالجة الأساطير وتوظيفها بطرقة ذكية.

"الحب في زمن الكوليرا" رواية السحر تبطنها الحية والجنون هي واقعية لدرجة أن يتحول الخيال فيها وكأنه واقعا يتجسد أمامنا نلمسه ونتلمسه بأيدينا، نجد انفسنا غرقى فيه يخطف عقولنا وقلوبنا من البداية وحتى النهاية.[2]

2.الرواية العربية:

أ. رواية إيبولا 76 لأمير تاج السر 2012: رواية إيبولا 76 للروائي السوداني تاج السر تدور أحداثها في عشش الكارتون أحقر حي سكني في منطقة أنزارا جنوب السودان، حيث يكبر فيه بطل الرواية "لويس نوا" على وقع طفولة بائسة، ليكبر ويصير شابا ويجد عملا في مصنع للنسيج، وبعدها يقرر الزواج

[1] أحمد نايف، الأوبئة والأدب أنموذجا، مجلة كلية المعارف الجامعة، المجلد31، العدد1، قسم اللغة العربية، كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العراق، 2020، 16، 17.

[2] أحمد نايف، مرجع سابق، ص17.

بأول فتاة يراها تبتسم، وهي "تينا" بائعة الماء في الشوارع، لتصبح زوجته ورفيقة دربه في تلك الحياة القاسية في تلك القرية، لكن "لويس نوا" يخونها مع خادمة الغرف في نزل للفقراء في كينشاسا، عاصمة الزائير سابقا والكونغو الديمقراطية حاليا وفي يوم من الأيام الحارة يصاب "لويس نوا" بوباء إيبولا الفيروس القاتل الذي ضرب الكونغو كينشاسا فيخترق جسده ليسكن دمه، فيغادر هذا الشاب السوداني الكونغو عائدا إلى السودان بعد رحلة حزينة في هذا البلد الذي يحمل فيه الكثير من الذكريات السيئة فيصير الجسر الرابط بين هذا الوباء القاتل وبلدته أنزارا في السودان، لكون أول من أصيب بهذه، وفي خضم هذه الأحداث والأماكن يرصد أمير تاج السر عوالم غرائبية، محاولا إيجاد مدينة عادية فيها شوارع ومتاجر وملاه ومواخير وزيجات وطلاقات وقصص حب كاملة وناقصة.[1]

لتحمل الرواية تبعات هذا الوباء الذي فتك بـ:"الكونغو"، و"وسط إفريقيا"، و"السودان" سنة 1976، وما خلّفه من قتلى، مرضى، وأرامل، ويتامى من نساء وأولاد ما يجعل القارئ يقف أما تراجيديا حقيقية تم تصويرها بلغة الكلمات، التي استطاعت ان تلامس قلوب القراء، وتوصل لهم الإحساس بالأمل ومدى رعب الوباء، وما عانت الشعوب منه في ذلك الوقت.[2]

ب. رواية ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ 1977: نشرت عام 1977، وتحكي هذه الرواية قصة أسرة فارة من وباء الطاعون، الذي قضى على الحارة المصرية، وفتك بأهلها وقد جاء في الرواية: "تفاقم الأمر واستفحل، دبّت في ممر القرافة (المقابر) حياة جديدة... يسير فيها النعس وراء النعش ... يكتظ بالمشيعين، وأحيانا تتتابع النعوش كالطابور، في كل بيت نواح، بين الساعة والأخرى يعلن عن ميت جديد ... لا يفرق هذا الموت الكاسح بين غني ولا فقير، قوي ولا ضعيف، امرأة ورجل، عجوز وطفل، إنه يطارد الخلق بهراوة الفناء، وترامت أخبار مماثلة من الحارات المجاورة، فاستحكم الحصار، ولهجت أصوات معولة بالأوراد والأدعية والاستغاثة بأولياء الله الصالحين".[3] يستطيع القراء بسهولة أن يلتمسوا

[1] أمير تاج السر، إيبولا76، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2012، ص77.

[2] هجيرة بن صميدة، الموضوعات الكبرى في أدب الأوبئة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، جامعة 08 ماي1945، قسم اللغة والأدب العربي، قالمة، 2025/2024، ص117.

[3] نجيب محفوظ، ملحمة الحرافيش، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1977، ص31.

عمق الأثر الذي خلّفه الوباء في الحارة، وقدرة الروائي على وصف أعراض هذا الوباء بدقة، وهنا يأتي دور عنوان الرواية، وسبب اختيار هذه الفئة بالذات لحديثه عن الوباء، فكما هو معلوم عن هذه الفئة من الناس، أن طريقة عيشها فوضوية، تقوم على نظام الجماعات، وكذا التجمعات في المقاهي والأسواق الشعبية، والدكاكين والخرابات، ...وغيرها، مما لا يخلو عادة من تجمهر الناس، هذا التلاقي الدائم وفر البيئة المناسبة تماما للوباء، وساهم في انتشاره بسرعة، مقابل جهل الحرافيش وقلة وعيهم بما يحدث، فسبب علتهم هو جهلهم بضرورة الوقاية وأخذ الاحتياطات اللازمة التي لطالما نادى بها شيخ الحارة العم حميدو، لكنهم رفضوا الانصياع فلم يتوقف موكب الموت ساعة واحدة، حتى قضى على الجميع، ويعود الأب الناجي الوحيد إلى المنطقة بعد انتهاء كل شيء، ليصبح سيدا على من يسكنها من بعده، ويقرر أن يبدأ بالعمل على إعادة ترميم، وتأسيس هذه الحارة من جديد لكي تكون كما كانت عليه قبل الوباء الذي دمرها، فيبدأ أولا بتقسيم الأموال بين أفراد حارته، وهنا يكون شديد الحرص على العدل بين الناس، كما يقوم بحماية الضعفاء، ويكون سندا وعونا لهم في كل مشاكلهم التي يواجهونها، كما كان ملتزما بالدين، والتدين والزهد، كل ذلك من أجل عدم الإغترار، والتباهي بالسلطة، وبعدها تتتابع وتتوالى قصص الصراع ما بين العدل، والظلم والحق والباطل، بين الأحفاد في عشر قصص، إلى أن يأتي أحد أحفاد السيد عاشور الناجي، وهو ذلك الحفيد الذي يعمل على الاقتداء بسيرة جده الأكبر في ارساء قواعد العدل والمساواة ونبذ الظلم والوقوف مع الحق دون أن يهاب أو يخاف من شيء.

يجسّد الوباء من خلال هذه الرواية الفلسفة الوجودية التي تبناها "نجيب محفوظ" في رواياته، فاختلطت في روايته معزوفة فذة بين الضعف والقوة، الخير والشر الأمل واليأس، ونجد أن الوباء في هذه الرواية قد أضفى تأثيراته على عناصر العمل الروائي كافة، خاصة شخصية البطل، لتصبح هذه التحولات عنصرا بنائيا أساسيا مشكلا للرواية.[1]

ج. رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور 2016: رامت رواية "الحجي السفلي" الصادرة عام 2016 سواء عبر شكلها الخارجي أو عبر مضمونها الجوهري التعبير عن تضامنها مع "أحمد القط"

[1] هجيرة بن صميدة، المرجع السابق، ص114، 115.

وجميع العائلات المعوزة الساكنة أسفل اهتمامات المهتمين وذلك بالتنبيه للحياة الضنكية التي يكابدها من يتخذ من بيوت الصفيح سترا يقيه العراء.[1]

سار الكاتب على نهج نازك الملائكة (1932-2007) وغابريال ماركيز (1927-2014) اللذان سبقاه في توظيف رمزية وباء الكوليرا وشرح تقاسيمه المأساوية على التوالي، حيث قام بتصوير الجوّ الوبائي الذي حلّ بالحي السفلي كتعبير فني منه على دراماتيكية الوضع الممشهد لحرمان ساكنيه من ذويهم الذين اختطفهم الموت، بعد أن حرموا من متطلبات العيش الكريم، لتكون العائلة نقطة ارتكاز يشير إليها النص، محذرا من مغبة التفككات التي غدت تنخر المجتمع فقرا ويتما وضياعا (التأسيس العائلي) كما شكلت الصداقة عنوان متعة وفائدة تواصلية سعى البطل "أحمد القط" لتأكيدها من خلال بحثه عن أصدقائه ولجوئه إليهم ساعة ضيقه (التأسيس الإجتماعي).

أولت الرواية عنايتها بالزمن الآتي وتصادم البشرية مع عصر الأوبئة من خلال مشاهد رسمت تفاصيل أزمة صحية تتلقفها عديد الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والإعلامية والدينية وانتهاء بالجانب الطبي العارف بحيثيات الوضع وحقيقته، حيث تم تصوير تجليات الوباء المتمظهرة في اجراءات الحجر والتكفل بالمصابين وعزلهم في المستشفى القديم، كما كانت مصحة الأمراض العقلية وجهازها حاضرين رمزيا من خلال تكفلهما بالبطل بعد اقدامه على محاولة الانتحار.[2]

وفي الرواية يشكل الوباء المرضي الممثل بـ"الكوليرا" نموذجا رمزيا يحاكي الخراب والضياع والقلق والتوجس، ليكون الحي السفلي بؤرة الوباء، وسبّب انتشار العدوى بين سكان الحي هاجسا لدى الجميع، وأضحى التوتر عنوان المشهد بعد أن أصبح الموت الخاطف المقيت، لتتمرأى معالم الخوف على الصبي، بما كانت تقوم به الجدة، والتي كانت تتحسس جبيني عشرات المرات في اليوم لتتأكد من عدم إصابتي بالعدوى، وتبعدني عن أمي قدر ما استطاعت، ثم تحضر لي شرابا من خليط اللفت ونوار التين

[1] عبد الله أغرب، الأبعاد الروائية في رواية "الحي السفلي" لعبد الوهاب بن منصور أنموذجا، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، المجلد05، العدد01، 2022، ص1906

[2] عبد الله أغرب، المرجع السابق، ص1907.

البربري أتناوله عدة مرات في اليوم بعد أن تتمتم وتقرأ عليه بعضا من آيات القرآن مؤكدة لي أنه يحميني من العدوى ويخفض من حرارة جسدي".[1]

صوّرت الرواية معالم الفقد واليتم والحرمان الذي يصنعه الوباء، فكانت صور التشتيت الأسري محل المكاشفة تضاف لها صور الحجر والتخندق في مكان واحد بانتظار شبح الموت الذي يخيم على مكان واحد دون غيره من الأمكنة وكان الموت قد اختار أسياده أو أن الأسياد قد اختاروا من سيموت: "لم يحزني فقدان أمي، في الأسبوع الثالث بعد رسم العلامة، بقدر ما أحزنني شعوري بالعجز واليأس أمام الموت، وهؤلاء الذين يقفون خلف الباب يمنعون الدخول والخروج من البيت، يخافون علينا منا، والعدوى تنتشر (لكنها لا تخرج عن حي الصفيح).[2]

[1] عبد الوهاب بن منصور، الحي السفلي،ط1، منشورات مدارج، 2016، ص07، 08.

[2] عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص08.

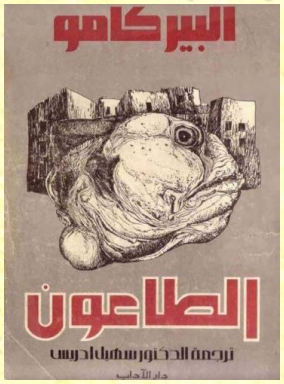

الفصل الثاني

تأثيرات الوباء

وانعكاساته على الكتابة السردية

(العزلة – الموت – الأمل)

المبحث الأول: الخطاب العجائبي

أولا: تعريف الخطاب العجائبي

تختلف الخطابات والأجناس والأنواع والأنماط الأدبية المتصلة في "الغناء والتمثيل والسرد والتقرير، وهناك البني والسامي والمتفكه، والواقعي والعجائبي والأسطوري والمقدس والمدنس، وهناك الإمتاع والإفحام والإقناع، إنه عالم متعدد وغني وبسيط ومعقد يعكس بجلاء الفضاء الشعبي العربي العريق الذي كان حيث كانت المدن العربية القديمة فضاء للحياة العربية في أزهى صورها وأبهى خصوصياتها".[1]

وانطلاقا من هذا التحليل نجد هذا النوع السردي يتحدد على العلاقة التي يقيمها مع المقارئ. "فالعجائبي يتحقق على قاعدة الحيرة أو التردد المشترك بين الفاعل (الشخصية) والقارئ حيال ما يتلقيانه، إذ عليها أن يقرر ما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك، يقول "القزويفي" معرفا العجب بقوله "العجب حيرة تعرض الإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه".[2]

ومن هنا يظهر لنا الحصول على هذه الصدمة أو الحيرة عن معرفة كيفية وقوع الفعل "العجيب" هو الذي يحدد العجائبي كما تقدمه لنا مختلف الحكايات أو الأخبار التي تزخر بها كتب العجائب العربية قديما وحديثا في شتى مجالاتها.

والسبب في تفاعل المتلقي فيها مع هذه النصوص العجائبية رغم انصرام الأزمنة وهو طرح الأسئلة تتعلق باستمرار في تلقي هذه الحكايات والقصص ذات الطابع العجائبي "رغم أن إبداعها قد انتهى، ولم تبق الآن سوى إعادة حكيها، كما أننا بالسؤال عن أسباب "التفاعل" معها رغم التبدلات الطارئة على المجتمع العربي، نريد أن نستخلص بعض الاستنتاجات التي تأمل أن تمكننا من تعميق السؤال حول دلالات السرد العربي، وحول ذهنية المجتمع العربي يوجه عام، لو اعطيتنا قصة "غزوة وادي السيسبان"

[1] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ص229.
[2] المرجع نفسه، ص233.

لدارس معاصر وحملناه مهمة قراءتها وتحليلها، وطرحنا عليه الأسئلة أعلاه لرأيناه "يتلقاها" من منظور خاص، ومتعالم ومختلف كل الاختلاف عن طريقة التلقي التي يستقبلها "متلقيها" المعين".[1]

وبناء على العلاقة الخاصة بين هذه النصوص التي لا تزال مستمرة إلى حد الآن في الوجدان والذاكرة والمتخيل في هذه الحياة اليومية، التي ظل الدارس والباحث العربي يهتمان بها ويمكن ان يشير هنا عن ما هو يوقي أو شعبي.

"يظل العجائبي العربي قابلا للتلقي، وقابلا للبحث والدرس المتأني، ولما كانت دراستنا من "تلقي" العجائبي في بدايتها وبحثنا في العجائبي في طور المخاض، نؤكد أن الجواب أبعاد ودلالات استمراره والتفاعل معه، رهين بالبحث في:

1. تشكل العجائبي في الثقافة العربية.
2. تحديد العجائبي وعلاقته بالأنماط الأخرى.
3. وصف بنيات العجائبي وآلياته.[2]

والبحث في مختلف الجوانب ليس فقط بحثا في التلقي باعتباره جزئيا كما أوضحناه ولكنه أيضا بحث في الإنتاج باعتباره عنصرا يتضافر مع التلقي، وبحث في نشوئه وتطوره.[3]

لماذا الخطاب العجائبي؟ لأنه يشير إلى أن زمن غير مألوف على غرار موضوعنا حول الوباء.

إن الذي جعل حكايات شهرزاد تدوم وتستمر في التداول "هو طبيعة خطابها الذي يتميز بالغرائبية والعجائبية، أي انها ليست سيرا وأخبارا بالمفهوم العلمي الدقيق ولكنها عبارة عن مثالات وخيالات تخاطب الخيال البشري وتستنفره بالصور الغريبة والأشكال العجيبة وهو ما جعل منها نموذجا سرديا خالدا يلتجئ إليه المبدعون لاستلهام مواقفه وصوره والنقاد لتجريب آلياتهم الوصفية والتحليلية".[4]

وهنا يلجأ السارد إلى التضخيم لأنه اكتشف أن السامع تستهويه هذه الكيفية في الحكي وتجعله يتابع القصة باهتا بالغ، "لأن التضخيم في الأشياء يعود إلى سعة المخيلة الجغرافية للقاص وإلى تصوير

[1] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، المرجع السابق، ص248.
[2] المرجع نفسه، ص250.
[3] المرجع نفسه، ص250.
[4] عليمة قادري، رحلة السرد (السندباد يعود من بعيد)، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 51.

الممالك البعيد بكل الصور الغرائبية، وإلى جعل بحيرة ماء صغيرة محيطا، وسمكة صغيرة حوتا، وغولا واحدا جيشا من الفيلان، وتعكس المخيلة الجغرافية حاجة اجتماعية ترتبط أساسا بالتجارة وتوسيع الأسواق ومد خطوط السيطرة، سواء كان ذلك سيطرة التجار على البحار وحركة السفن أو سيطرة الساحر على المستمع".[1]

ثانيا: تصنيف الخطاب العجائبي

بعدما تعرفنا على الخطاب العجائبي وتفسيراته المختلفة في مدخل البحث، "نسترشد بالتصنيف الذي وصفه الباحث المغربي" عبد الفتاح كيليهو "لوصف العالم الغريب الذي يتحرك فيه السندباد، وهو فضاء الأفعال والأحداث، ويرى هذا الناقد أن عالم الغرابة يتشكل وفق تشكيلات أربع وهي:

1. ما يتعلق بحجم المخلوقات.
2. تجاوز المتناقضات والمتنافرات.
3. نقص العادات وغرابة الشعائر.
4. غرابة التسمية أو غيابها التام".[2]

أما في الأدب فيستعمل البعض مصطلح الخوارقية من خرق والخارق "Fantastique" "فإنها تنتمي إلى الادب الخيالي وتهدف إلى تهيج عواطف القارئ وإثارة خياله بواسطة وصف المشاهد الغريبة أو الأفعال المرعبة أو الاحداث الخارقة غير المألوفة والتي تناقض العادة، سواء كانت عاد القراءة أي القوانين التي تتحكم في بناء النص الأدبي وكيفيات تلقيه أو المنطق بالمفهوم الواقعي والحسي، أي العلاقات الطبيعية بين البشر أو بينهم وبين العالم، ومن هنا فغن الفعل الخوارقي يقترب من مفهوم الاستثنائي "Singulatif" والأفعال الخوارقية بطبيعة الحال، ليست أفعالا تاريخية، لأنها خيالية ولم تتحقق على أرض الواقع، كما أنها لا تخضع لقانون الصلة والسببية الذي يتحكم في الخطاب التاريخي فهي من هذا المنظور أفعال استثنائية لا تتكرر".[3]

[1] عليمة قادري، رحلة السرد (السندباد يعود من بعيد)، المرجع السابق، ص 52.
[2] المرجع نفسه، ص 57، 58.
[3] المرجع نفسه، ص 72، 73.

تبدو الفترة الزمنية التي نعيشها حافلة ما بتغيرات خاصة، أن زائرا ثقيل الظل حل ضيفا علينا، هو كوفيد "19" أو فيروس كورونا، غلب الحياة وصارت نهاية العالم، قد اقتربت ولعل دائرة الوباء أصبحت تدور كل حين على كوكب الأرض.

ومن هنا "أصبحت حساسية الفنون الإبداعية والأدب خاصة في التقاطه الأحداث والنظر إلى الواقع، من خلال زوايا يرى أنها معتمة أو ميتة وتبدوا مهمة المبدع في اختراق أماكن العفونة أو الكلام في المجتمع ومحاولة إيصال النور إليها، باعتبار أن الطبيب من مهمته تخفيف الألم، فإن الأديب مهمته محاربة الجهل والكلام والفساد".[1]

وهنا نجد دور الأديب وما ينتجه من قيم إبداعية وفنية ومن هنا يمكننا أن طرح الإشكال التالي؟ هل الأدب معني بالتاريخ لحالة الوباء؟ أم أن الوباء عتبة يمكن "للكاتب من خلالها النفاذ إلى قضايا شائكة قريبة لا يمكنه البوح بها أو التحدث عنها؟ فالكاتب ليس معنيا بالتفاصيل اليومية بل هو معني بالحياة والمجتمع بشكل عام، معني برقي الإنسان وتخلصه من آلام البشرية المعنوية سالكا بذلك سبل المتعة الفنية، وقد شكلت "رواية الطاعون" للروائي "ألبير كامو" علامة فارقة لهذا الشأن وكذلك رواية "الحب" في زمن الكوليرا للروائي "غابريل فارسيا ماركيز".[2]

كما يمكن أن نحصر عملا سرديا هاما للكاتب عن موضوع الوباء كرواية الوصف للكاتب البرتغالي "سارا ماغو" ورواية الموت في غينيسا الألماني "توماس مان" "وهناك الكثير من الأعمال التي اشتغلت على هاته القضية وصورتها بأدق تجلياتها من خلال عتبة الألم عند الإنسان، قرب لنا وقد اقترب الناس مع بعضهم عاطفيا رغم التباعد الاجتماعي وكانت هاته الأعمال تكشف لنا الأزمات وتشوه العلاقات الداخلية النفسية لدى البعض وكان حب الذات هو المسيطر عليها طبقا لما تقتضيه غريزة البقاء، فالتغلب على الألم من أهم سمات هاته الأعمال".[3]

[1] موسى الزعيم، الوباء والغزلة في الأدب، مجلة الأدب العربي، دار النشر الآداب، بيروت، 2022، المجلد 03، العدد01، ص125.
[2] المرجع نفسه، ص 127.
[3] المرجع نفسه، ص 235.

-كيف صور أدبنا العربي الأوبئة؟ بالسؤال الذي نصبوا الوصول إليه ويمكن القول أن عملنا هو عتبة أمام هذا الأمل في الوصول إلى بحث جامئ حول هذا الموضوع لأننا نجد بحثا متكاملة حول هذا الموضوع قديما وحديثا.

-إو صورة الوباء أو المرض الساري في تراثنا العربي قليلة ونادرة "لعل أبرز النصوص الشعرية التي صورت مرض الطاعون قصيدة الشاعر "ابن الوردي" عمر بن مظفر المقري "المنباعث الوبا" اما في الشعر الحديث الكثير تطرق في قضية المرض وخاصة "السل والطاعو" من هؤلاء الشعراء "أمل دنقل" وبدر شاكر التسياب وعلي الجارم والتجاني يوسف من العراق، نازك الملائكة في قصيدتها "الكوليرا" وبعض الشعراء عالج القضية بأسلوب "ساخر" فعندما حل الوباء بلبنان عام 1970م.

-قاوم الشاعر "أسعد رستم":

يَا أَيُهَا الطَّاعُــونْ إِنَّ بِلَادُنَـا مَنْـظُومَةً ومَنَـاخَهَـا مَـــــوْزُونُ

حَتَـى جَنَابِـكَ كَــيْ تَقْضِـي الشَّتـا فِيهَا فَأَنْـتَ لَهَـا مَدْيُــونُ

أَمِنَ العَدَالَةِ أَنْ تُقِيمَ بِأَرْضِهَـا صَيْفًا وَتَقْتُلَ، أَهْلَهَا يَـا دَونُ".[1]

[1] موسى الزعيم، الوباء والغزلة في الأدب، المرجع السابق، ص235.

المبحث الثاني: الأوبئة وتأثيراتها

أولا: البشرية والأوبئة

عرفت البشرية الجوائح والاوبئة والأمراض منذ العصور وقد تنوعت هذه الأمراض ومنها كذلك الكوارث الطبيعية، مثل: الجفاف ما ترتب عنها من مشاكل اقتصادية واجتماعية أثرت سلبا على حياة البشر.

"كانت انعكاساته في تلك الفترة عظيمة، ومعلوم أن الاوبئة والامراض ليست طائرة ومستجدة في حياة البشر، ذلك لأنها موغلة في القدم، والشواهد ذلك كثيرة، ومثالها ما وقع في زمن الإمبراطور جستنيات "Justinian"، حيث نجم طاعون عرف باسمه، وكان يطمح في استعادة مجد الإمبراطورية الرومانية الغاربة، وفي تاريخنا العربي الإسلامي نجد طاعون عمواس، الذي اجتاح بلاد الشام في زمن الفتوحات وراح الضحية الآلاف من المجاهدين المسلمين في مقدمتهم القائد الكبير" أبو عبيدة بن الجراح، ومن عجب أن رافق ذلك الطاعون مجاعة احتاجت بلاد الحجاز".[1]

ثانيا: الجائحة وتأثيراتها

1. تعريف الجائحة: لقد تعددت مفاهيم الجائحة إلى مصطلحات وتعريفات كثيرة من بينها نجد تعريف "عبد الملك بومنجل ود. فايزة بوراس".

أ. لغة: ترد الجائحة في سياقها اللغوي "بمعنى الاستئصال، والآفة، والشدة المهلكة، والنازلة العظيمة، يقول قول "ابن فارس": (ج.و.ح) الجيم والواو والحاء أصل واحد، وهو الاستئصال، ومنه الاشتقاق والجائحة أما "الزبيدي" فقد ربط الجائحة بمعنى الأفة والجوع والإهلاك، وتكون بالبرد ينزل من السماء، غذا عظم حجمه فكثر ضرره، وتكون بالبرد أو الحر المحرق.

والجائحة في لسان العرب "الشدة والنازلة العظيمة، التي تحتاج المال من سنة أو فتنة، استأصله فقد حاجة، وأحاجة، بمعنى اهلكه بالجائحة".[2]

ب. اصطلاحا: لا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن ذلك اللغوي "ويرتبط عبد الأعم الغالب بفكرة العقاب أو الإنذار الإلاهي، والذي تكون الجائحة جندا من جنوده على الأرض، والجائحة هي تفشي مرض

[1] ألبير كامو، عام الطاعون، ما يخبرنا به الأدب عن الأوبئة، "الطاعون" الوباء في الأدب، مجلة الآداب والثقافة، السنة 2022، الساعة 10:43، ص3، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

ينتشر في العديد من البلدان ويصيب عددا كبيرا من الناس، وتحدث غالبا حسب الفيروسات مثل: مرض فيروس كورونا الذي انتشر بشكل مرعب".[1]

2. تأثيرات الجائحة: أثرت الجائحة على الآداب كما أثرت على العديد من المجالات سواء الحياة الاجتماعية أو الدينية والسياسة.

أ. تأثيرات الجائحة في الآداب: سجلت جميع الدول العالم تقريبا حالات إصابة بالجائحة، إن هذا الوباء الخطير انتشر في كل أنحاء العالم منها الأوروبية والعربية والغربية.

– في الآداب الأوروبية الغربية: "تقف على حقيقة هامة وهي ارتباط هذه الآداب بحقب تاريخية مهمة في مجتمعاتها، مما يجعلها جزءا هاما من التراث الأدبي الإنساني، الذي يحمل هم الواقع، فيسعى إلى تشخيصه تارة، وإلى توثيقه تارة أخرى، بما عايشته هذه المجتمعات الغربية من اوبئة وأمراض على مر التاريخ، وسأقتصر من خلال الجدول الآتي أهم الأعمال الادبية التي كانت الجائحة نبع إلهامها".[2]

الطاعون 1947م	ألبير كامو	عمل روائي يروي زمن الطاعون الذي عصف بوهران، الجزائر، فهو عمل ذو علاقة مباشرة بالتراث السردي التاريخي، ينقل حقيقة تاريخية حملت المآسي لهذا الشعب بمختلف فئاته وطبقاته، مصورا قسوة العزلة المميتة التي عاشها سكان هذه المدينة الهادئة، من خلال قصة عاملين في المجال الطبي، حيث يعمل هؤلاء على التعاون للخروج من ظلام الأسود الفناك، غير أن البعض اعتبر الطاعون رمزا أشار من خلاله إلى الفاشية.
عيون الكلام 1981م	دين كونتر	رواية خيال علمي، تشابهت أحدثها بشكل ملفت للانتباه مع أحداثا كورونا، لاسيما تفاصيل المكان والزمان الذي تفشت منه، وتدور أحداثها حول الأم "تينا" التي أرادت التحقق من موت ابنها "داني" فتنتقل إلى مدينة ووهان الصينية هناك حيث تحل الفاجعة.
العصى 1995م	جوزية سارماغو	عمل روائي يصور لنا مآسي وباء خطير يصيب العالم ويصيب ضحاياه بالعصى، ولعل العصى من منظور هذه الرواية أيضا هو أن يعيش المرء في عالم تبددت فيه الأمال كلها.

[1] ألبير كامو، عام الطاعون، ما يخبرنا به الأدب عن الأوبئة، "الطاعون" الوباء في الأدب، المرجع السابق، ص25.

[2] عبد الملك بومنجل، أدب الجائحة بين سلطة الحجر وفسحة الشعر، قراءة في قصيدة حزن المآذن، تأثير جائحة كورونا على الأدب والشعر، جامعة محمد دباغين سطيف2، مارس 2024، المجلد06، عدد خاص، ص 24.

– **في الآداب العربية:** كانت المجتمعات العربية هي الأخرى من الويلات الاوبئة، والكوارث التي أثرت على الحياة بمختلف مجالاتها "غير أننا لا نرصد في آدابنا العربية ما سبق وأن عايناه من حرص الغربيين على التمكن لهذا النوع، من خلال الاجناس الأدبية التي أبدعوا من خلالها، خضعت ذلك التراكم الذي أرساه نوعا أدبيا قائما بذاته، ولعل ما يلفت الانتباه في ما كتبه العرب عن الوباء، هو عليه الطابع التوثيقي والتاريخي، بالإضافة إلى الأعمال الروائية مقارنة بما وجد عنه الغرب".[1]

الأيام 1929م	طه حسين	سيرة ذاتية حملت صفحات متفرد تدث من خلالها "طه حسين" عن انتشار وباء الكوليرا في مصر.
الكوليرا 1947م	نازك الملائكة	قصيدة صورة من خلالها وقع أرجل الخيل وهي تنقل الضحايا، وبثت من خلال أبياتها تلك المآسي والأحزان، معبرة عن مشارها حيال الوضع الذي عمّ مصر
الخرافيش 1971م	نجيب محفوظ	قدم من خلال عمله جسما لتأثير الوباء على حارات مصر، وانتشاره بها وفتكه بأهلها
الاستئصال 2014م	طاهر بن جلول	عمل روائي، تجربة شخصية صاغ من خلالها معاناته من مرض السرطان.

ب. تأثيرات الجائحة على الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية: أثر بصفة عامة فيروس كورونا أو كوفيد "19" على العالم أثر كبير من الناحية الأدبية والشعرية بصفة أخص.

– **التجلي الاجتماعي:** "لقد استطاع عديد الشعراء ترجمة الواقع الاجتماعي للجائحة، فإلى جانب بيان موجه الأسى والحزن التي عصفت بالمجتمعات، نفذ البعض إلى عوالم التأزر والكفاح بين أوساط المجتمع، فكتب "نري الوائلي" قصيدته "كوفيد رفقا ما ليسفك ينحر".

يَا وَيْحَ جَائِحَةُ الزّمَانْ إِنَّ اعتَدتْ مِن ثُلَة بِعُلُـــوْ مُناقِد اهتدت

النَّاسْ تَلْزَمُ البيـــوت تسمّـرت وَهُمْ الذين حياتهم قد أُزهِقَتْ.

ففي حديثه إشارة إلى العجز الكبير عن تطويق الوباء، والحد من انتشاره، بعد أن دبّ الموت يحصد الأرواح، رغم ما توصلت إليه البشرية من تقدم علمي، وقفت في صمت معيب، تنذر بالخطر".[2]

[1] عبد الملك بومنجل، أدب الجائحة بين سلطة الحجر وفسحة الشعر، المرجع السابق، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص26.

– **التجلي الديني:** "إنما الوباء من منطلق ديني لا يعدو كونه جندا من جنود الله، يقول "عبد الرحمان العشماوي" في تغريدة له:

الناس تصرخُ –كورونا– وأنت بلا خـوف تهـاجمها تـغـشـى نواديـها

من أنت؟ قال أنا جـنـد خالقـنا قضى فأمضى وأعطى القوس بارجها

خذو بأسباب دنياكم ولا تقـفـوا وقـوف مُـضـطرب، فالله حامـيها.

فالوباء من جند الله يصرفه كيف يشاء، لحكمة إلهية، تستدعي التدبر، والتفكر، ومراجعة النفس وحاسبتها تذكيرا بعظمة الله وقدرته، وأنّ لا مشيئة نافذة إلا مشيئته، وقد عمد بعض الشعراء إلى مخاطبة الإنسانية بما يزيدها قربا من الله جل وعلا، ويذكرها بحقيقة الموت، ودار القرار، مؤكدا على اهمية التعلق بالنور الرباني، ونبذر فرق الحياة الدنيا لاشك أنها مفارقته إلى حقيقة اعظم وأدوم وفي هذا المقام يصف "الوائلي" بقوله:

جُنْـدِي اللّهُ العـظيـم بأمـره تخـتـارُ منـهم مـا يـشاء وتـقـبـر

كما عمت البعض إلى ضرورة التوبة والركون إلى الدعاء كونه عبادة جليلة من ان تغير القدر".[1]

– **التجلي السياسي:** "في قصيدة تنقل وقع أسودين حلا على اليمن، استطاع "أحمد الفلاحي" أن ينقل شيئا من تجربته الصادفة مع هذا الوباء، في تحالفه الأخير مع الحرب المقيتة، وفي ما كتب تعبير عن حالة الجوع والمرض والبؤس لتي يعيشها اليمنيون منذ سنوات، نتيجة الحرب البائسة، والتي مدت يدها لهذا القاتل القدم، لتزيد من عمق المآسي فيقول:

لَقَدْ تأخرتَ كثيراً أيهَا الفيروسْ

دَعْنَا نَكُون أَصْدِقَاءْ ونَنْخُرُ الحَرْبْ

ومعها نلعق أطراف الموت

دعنا نمرُ في الفيافي وعلى طريق البخور

نهد هد المهد

[1] عبد الملك بومنجل، أدب الجائحة بين سلطة الحجر وفسحة الشعر، المرجع السابق، ص26.

ونستل الروابي

ثم نؤوي إلى بلاد لا تخاف العَطَسْ

تخاف فقط من لهيبِ الجوع...".[1]

ثالثا: مخلفات جائحة كورونا

إن كورونا هو نوع عجيب من الحروب لا يظهر عليه شيء فهو صامت ولا رائحة له إنما هي حرب لا نرى فيها فوهة مدفع، ولكنه اخطر الأوبئة أكثرها انتشارا في العالم، لقد استطاع أن يغير في حياة الإنسان من حيث النظافة والأطعمة والمشروبات وعلاقاتهم الاجتماعية، وعاداتهم وتقاليدهم في السلام والتعامل مع بعضهم البعض "لقد كان لجائحة كورونا انعكاسات على مختلف الأصعدة، حيث شاهدنا الطائرات حائمة على الارض، وكذلك أصاب الركود الاقتصاد العالمي الذي لم يستطيع ان يتحرك، ومنتظرا المعمل والمختبر الذي فشل كثيرا في أن يخرج له لقاحا تنحل على إثره القيود التي التفت حول عنق العالم، وكادت تزهق أرواحنا جميعا، ومع ظهور هذا الفيروس عاد إلى الواجهة طرح مصطلح ادب الأوبئة، هذا النوع الذي تناول الجوائح التي عرفتها البشرية منذ القدم، وبرزت اعمال أدبية جمة رصدت الوقائع الحاصلة، أو استشرقت ما سيحدث في المستقبل على غرار ما نعيشه في عالمنا اليوم".[2]

[1] عبد الملك بومنجل، أدب الجائحة بين سلطة الحجر وفسحة الشعر، المرجع السابق، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 03، 04، بتصرف.

المبحث الثالث: بين سلطة الحجر وفسحة الشعر

يتخذ الحجر الصحي الذي فرضه علينا القدر أو الدول صفة العزلة الحل الوحيد الذي يحمينا من هذا الوباء المنتشر في كل انحاء العالم وهو نوعان: إجبارية واختيارية ولكل منهما أثرها على حياة الفرد والمجتمع.

"قد قبل في نفسها وضررها، إنما تنفع العلماء العقلاء وهي من اضر شيء على الجُهَال، ولأن المبدع يحتاج شيئا من الفضاء المرحب لتنظيم أفكاره، فقد كان الحجر عزلته المنشودة لتقيد شعلة إبداعه، يقول الكاتب "غزة بدر" الكلمة هي الحصن والأمان للمبدع وللبشرية عامة، الازمات وتجعل الكاتب مرهفا ومتحشما للدفاع عن قضيته، وقضيتنا الأن هي البشرية، أعيش بالقلم، وأحيا على الورق وأزرر الكيبورد، أرى أن هذه العزلة مدعاة للتأمل والتوحد من الذات، والكتابة مهمتها الانتصار للحياة، بينما يستمر العالم في مواجهته لحاصد الأرواح".[1]

ولكن في هذه الازمة التي نقلت إلينا كل هذه الكتابات وتجارب هذه اللحظة هم الكُتاب والشعراء بسبب قلمهم الذي كان مثل: السيف.

"ولعلنا في هذا المقام سنعرض لبعض الكتابات التي نقلت تجربة الحجر، بأقلامها الشعرية، مؤكدة على ان الشعر في تلك الحقبة المريرة، إنما كان منفذا للأمل، فمن الشعراء من تحدث عن هذا الحجر واصفا حرقة البعد، أو لوعة الفقد، أو قمة الخوف من ذلك المجهول خلف الطرقات الفارعة، أو روى حزن المساجد وغربة أهلها، وكيف كان الهواء وحيدا، يبث في النفس ذلك الشعور بالخوف، حتى ذلك الشهيق الذي يعطي الجسد حقه من الحياة، قد بان مرعبا، وهل فعل لا يزال يُمِده بما يبقيه حيا أم العكس؟ فيقول في "رحلة اضطرارية في شوارع خالية:

هـــــذا الـــصبـــــــاح جذبتني الشمس إلـــى الشارع

تـــركتـــنـــي وحـــــدي ومـــــضت ضـــاحـــكـــة".[2]

[1] المرجع نفسه، ص 28، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 28، بتصرف.

أولا: الإبداع في جائحة كورونا

1. تداعيات جائحة كورونا على الشعر العربي: اختلف الإبداع الأدبي في زمن كورونا من شاعر إلى آخر ومن أديب إلى آخر.

"فالأدب لابد وأن يتفاعل مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية الصحية والاقتصادية والسياسية وغيرها، ويعك هذه التطورات بشكل تلقائي لأنه يعكس حركة الحياة بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، فالإبداع في زمن وباء كورونا فجر طاقة فنية صورت ألم وجود كورونا الروحي والجسدي، اخترق فيها الأدب والفن العالم الخيالي لتجاوز الواقع المرير، فالإبداع مفسر للحياة ولوعي الإنسان ينقل به المبدع مخاوفه وأحلامه وآلامه وآماله، فأغلب الأدباء حول الحجر الصحي لعزلة حسية مع العقل أطلق فيها الفنان لمخيلته لتتجاوز الوعي الواقع وتتصل بالوعي الممكن كي نجد الحلول وتجسد الطموحات البشرية، أغلبهم ابتعد ليبدع ويُحلوَ".[1]

2. بعض الممارسات في زمن الوباء من منظور الشاعر: حصر الشاعر هذه الممارسات في

أ. ممارسة الهوايات: أثناء الحجر الصحي من العادات والسلوكيات الصحية الأفراد المجتمع في ممارسة هوايتهم "تعتبر إجراءات الحجر الصحي حفاظا على سلامة النفس، ومن ثم يمكنه أن يتابع أعماله ومواهبه أو حتى هواياته دون إهمال، وينظم نفسه وفعاليته وسط محيطه الأسري، ولقد اقترح الشاعر القراءة والكتابة أو مشاهدة أفلام كإجراء يمكن أن يمارسه الفرد في بيئته أثناء فترة العزل الذي اتخذته معظم الدول العالم من انتشار فيروس كورونا، للتأقلم مع الوضع وتحرير الوقت من لا يحس بالملل والقلق، ولقد ذكر الشاعر: قراءة الكتب أو تجريب الكتابة الأدبية باعتبارها حرفته وهوايته، وعبر عنها بلفظ "جنح" أي حلق وطر، وهي كناية عن الخيال والذي هو أداة المبدع، وهو حلق وتحليق وابتعاد عن الواقع".[2]

ب. التقرب إلى الله عز وجل: في هذه الأزمات خاصة التقرب له بالصلاة والدعاء "لقد أظهرت جائحة كورونا حاجة البشرية إلى علاجات أخرى للوقاية والثبات، لأن العلاج المادي وحده غير كاف

[1] عبد العزيز الهماحي، تداعيات جائحة كورونا على الأدب، مقارنة موضوعاتية في قصيدة كورونا، جامعة مُحَّد البشير الإبراهيمي، برج بوعريرج، 25 سبتمبر 2022، المجلد 28، العدد الخاص، ص 27، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

لوقاية الإنسان، ولقد كشفت الازمة عن حاجة الإنسانية للعودة إلى الدين المسكن للنفوس، ودعوة الشاعر للعودة إلى الدن صريحة قوله: فَلْتَعْشَقُ دِفْءَ مَنَزِلَنَا ونُصَلِي، والصلاة ركن من أركان الإسلام الذي ينقذ الإنسان من التيه ويلبي كل حاجاته الروحية والمادية، وبإمكانه ان يغذي النفوس ويدخل إليها الطمأنينة والسكينة، ويختم الشاعر قصيدته بالاعتراف بالحجر، وعدم جدوى كل الوسائل والتدابير لمجابهة الفيروس والاعتراف بفاعلية الجانب الديني وجدواه، ويقول الشاعر:

وأَنْ أسْجُدُ لِله

أَسْتَغْفِرُهُ وَأُسَبِحُ.

فسبحان ربك رب ال... عما يصفون، فعلا لقد استدعت أزمة كوفيد الجانب الديني".[1]

تعد العزلة ظاهرة اجتماعية ونفسية تحيط بالفرد في محيطه الاجتماعي وتؤثر عليه بشكل كبير من الناحية النفسية والجسدية والاجتماعية، وقد تتعدد انواع العزلة الاجتماعية منها الجسدية والعاطفية بسبب الامراض النفسية أو بسبب الأوبئة كالعزلة التي فرضت على المجتمعات للوقاية من المرض.

ثانيا: التدابير اللازمة من منظور الشاعر للوقاية من تفشي وباء كورونا

هذه التدابير حصرها الشاعر من خلال الحجر والعزلة:

1. الحجر الصحي: ويطلق عليه كذلك التباعد الاجتماعي والعزل بهدف: "يمكن للإنسان أن ينعزل في بيته ويلتزم غرفته لإمكانية انتقال العدوى بين أفراد البيت الواحد، وللإشارة فإن إجراءات الحجر الصحي المتمثلة في تلك القيود على الحركة، مثل: تعطيل لروتين اليومي للمجتمعات، وإحداث ضغوطات على مستوى الأفراد والجماعات، خصوصا المؤسسات الاجتماعية كالأسرة، ويزداد الخطر على الأفراد بسبب الإقصاء الاجتماعي كتعطيل الروابط الأسرية والخوف من المرض، لذلك يرجع الشاعر ليؤكد على نجاعة الحجر الصحي واهميته، ويطلب الحيطة والحذر، والتزام البيت، الذي أصبح فيه فتح الباب على من يدق يعني الموت".[2]

[1] عبد العزيز الهماحي، تداعيات جائحة كورونا على الأدب، مقارنة موضوعاتية في قصيدة كورونا، المرجع السابق، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص 31، بتصرف.

2. العزلة Isolation: تعرف العزلة "من الناحية اللغوية تعني كلمة عزل: عزل الشيء بعزله عزلا، وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل نحاه جانبا".

أما اصطلاحا: بأنها "غياب طويل الامد من حيث الاتصال الاجتماعي، فشل الفرد في الاتصال بمن يحيطون به، غياب العلاقات الاجتماعية".[1]

أ. العزلة الاجتماعية Social Isolation: "تقدم الموسوعة المختصرة في علم الاجتماع 1995 Sociology the concise encyclopédia of مفهوما شاملا للعزلة الاجتماعية وترى بأنها تعني: درجة من درجات الانفصال بين الأفراد أو بين الجماعات من منظور التفاعل والاتصال او التعاون والاندماج الباطني والاجتماعي".[2]

ب. أنواع العزلة الاجتماعية: وأنوعها يمكن توضيحها من خلال

– العزلة الاجتماعية الناتجة عن التقدم في السن: "تعد مرحلة الشيخوخة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان، وذلك بسبب طبيعة وكثافة التغيرات التي تنطوي عليها، فهي مرحلة بيولوجية ذات خصوصية بارزة بسبب التحولات العميقة التي تصاحب هذه المرحلة، وما يلزمها من تحديات معيشية، ومشكلات اجتماعية وصعوبات نفسية ناتجة عن تقدم العمر وفقدان المكانة الاجتماعية وتراجع الكثير من المكتسبات الثقافية والاقتصادية، وعدم التوافق مع متطلبات هذه المرحلة العمرية، ولما قد يتخللها من بروز حالات من العزلة الاجتماعية والاكتئاب ومشاعر الوحدة والاقتراب وزيادة مظاهر الانسحاب الاجتماعي".[3]

– العزلة الاجتماعية الناتجة عن الإدمان على الإنترنت: "الإنترنت ثورة معلوماتية اخترقت الحدود الجغرافية والزمنية حيث تمكن الأفراد من تبادل المعلومات والرسائل المسموعة والمرئية والمكتوبة وإمكانهم الاطلاع على الأحداث والأخبار لحظة حدوثها في بقاع مختلفة من العالم والحصول على الخدمات

[1] مُحَمَّد حسين شواقي، انواع العزلة وآثارها الاجتماعية والنفسية بحث اجتماعي في نظري، مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية، إقليم كوردستان، العراق، السنة 2023، المجلد08، العدد05، ص 957.

[2] المرجع نفسه، ص 957، 958.

[3] المرجع نفسه، ص 958.

والاستشارات في المجالات المختلفة مثل: مجال الأسرة، الصحة، العمل، الدراسة وغيرها، ويستطيع الإنسان الدخول بوجوه متعددة وهوية محجوبة واستخدام الرموز للتعبير عن الحالات النفسية لدية، ومع ذلك الكم الكبير من الخدمات التي تقدمها الإنترنت للإنسان إلا أنها قد تقوده إلى الإدمان والإفراط في استخدامها وبذلك يتحول استخدامه إلى سلوك مرضي قد ينتج عنه عدة اضطرابات اجتماعية، ونفسية منها العزلة الاجتماعية".[1]

– **العزلة الاجتماعية الناتجة عن الأمراض النفسية:** "بأنها اضطراب وظيفي في الشخصية، يبدو في صورة أمراض نفسية وجسمية مختلفة، ويؤثر في سلوك الشخص ويعوق توافقه النفسي كما يعوقه عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه، ويكون الأشخاص يعانون من امراض نفسية أكثر الفئات تعرضا للعزلة الاجتماعية، حيث ان المرض النفسي يعيق تنمية المهارات الاجتماعية ويؤثر سلبا على قدرة الناس على إقامة العلاقات والحفاظ عليها وضعف الثقة بالنفس وبالآخرين، وتؤثر على نوعية النوم لديهم، وقد تؤدي إلى حالات من الانتحار لدى بعض الأفراد، وتزيد الاتجاهات السلبية للمجتمع تجاه المصابين بالأمراض النفسية من عزلتهم عن المجتمع".[2]

ج. **الآثار النفسية للعزلة الاجتماعية الناتجة عن مرض كورونا:** "إن العزلة الاجتماعية الناتجة عن التدابير الصحية للوقاية متمرض كورونا كان لها تأثير الكبير على الصحة النفسية للناس، حيث وجدت علاقة بين العزلة الاجتماعية وزيادة الضيق النفسي والذعر والاكتئاب الاضطرابات العاطفية، وتبين بأن الأشخاص الذين يعيشون في أحياء تتميز بوجود علاقات اجتماعية قوية أقل تعرضا لهذه التأثيرات النفسية وذلك بسبب شعورهم بالتماسك الاجتماعي والرضا عن الحياة، وتتفاوت هذه الآثار النفسية على الأفراد حسب مدة العزل ومدى شعورهم بالخوف من العدوى وكذلك حيث كلما زادت مدة العزل وارتفع مستوى الخوف ازداد شعورهم بالضيق النفسي".[3]

[1] مُحَمَّد حسين شواقي، انواع العزلة وآثارها الاجتماعية والنفسية بحث اجتماعي في نظري، المرجع السابق، ص 959.
[2] المرجع نفسه، ص 960.
[3] المرجع نفسه، ص 972.

وقد كان للعزلة الاجتماعية الناتجة عن جائحة كورونا Covid-19 التأثير النفسي والعاطفي الكبير على حياة المراهقين والشباب.

كل يوم كانت هناك إحصائيات محلية ودولية تفيد بأن الوباء قد انتشر بين الناس بصورة مرعبة والصعب التحكم فيه مع كل الوقاية والإجراءات المتخذة اللازمة للحماية من هذا المرض الخطير المنتشر في العالم وأن حالة الوفيات تتصاعد لحظة بلحظة وبدرجة عالية لا يمكن أن تتوقع "في غرف العزل، كان ثمة موت آخر يواجه المرض، موت لا يدرك شدته إلا الناجون من غرف الموت، بعض الشهادات كانت صادمة للغاية، فعدد من الناجين وصفوا ما مروا به بأنه "انتقام" لا يرحم من فيروس خانق، كانت الطعنات التي يسددها الوباء في صدور المصابين تترك جرحا داميا لا يتوقف نزيفه بسهولة، بل يظل يضغط على أعناقهم حتى يقطع أنفاسهم عن أجسادهم، فيموتون متأثرين به، أيام قد مضت على الجائحة، ولكم من عاش تفاصيلها يتذكرها، ولا يتمنى أن يعيشها مرة أخرى بعد سنوات من الاستشفاء النفسي"[1]، لكن بعض المصابين هذا الوباء برغم من ذهابه إلا انه لا يزالون يعانون من أثاره في أجسادهم "صفحة الوباء لن تطوى بهذه السهولة كما نعتقد، لان انهار الدموع التي سالت من مقل العيون بسبب الألم النفسي والعضوي لم تجف بعد، وجيش من الأفئدة المحطمة وآثار سقوطها في ساحات المعارك من المرض العضال مازالت باقية، هناك قائمة طويلة من الأطفال والنساء والشيوخ الطاعنين في السن لم يكن لهم نصيب لرؤية العالم من جديد ما بعد الجائحة، ولم يكتب لهم الله أن يخرجوا من فوهة المرض سالمين، بل زهقت أرواحهم من تأثير الجائحة، فلهم الرحمة والمغفرة من الله تعالى".[2]

لقد أثر انتشار وباء فيروس كورونا "كوفيد 19" على العالم، في بدايته الذي جعل العالم في حيرة، فقد أحدث هذا الوباء تغيرات كثيرة في المحافل العلمية وعلى مستوى خيالات الادباء على الرغم من وجود الكثير من الكتابات التي عالجت تجليات الامراض والاوبئة والجوائح التي عرفها الإنسان عبر مختلف العصور، ومن هنا يمكننا طرح الإشكال التالي؟ كيف استطاع أدب الاوبئة أن يصور الجوائح في

[1] أحمد عبد العزيز، الوباء والعزلة في الأدب، نظرة حول الحياة والموت، مجلة الدراسات الأدبية والثقافية، دار النشر الجامعية، السنة 2022، المجلد12، العدد04، ص 25، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 30 بتصرف.

النصوص الأدبية؟ لان موضوع الوباء وحضوره في كتابات الأدباء شهد نتاجات، وأعمالا شعرية ونثرية ففي المقابل الدراسات النقدية التي اهتمت به قليلة، باستثناء مقالات مبثوثة في مواقع الإنترنت، أو مؤلفات تناولت الأوبئة بشكل عام، وظهورها في مختلف الحقب الزمنية على غرارة كتب تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكتاب الموت الأسود، ودراسة لإلياس خوري بعنوان "الأدب في زمن الوباء"، وغيرها من الاجتهادات في هذا الصدد، التي حاول المهتمون والنقاد والباحثون سبر غورها، واستجلاء مدى استلهام الأدباء فيها لأثار الأوبئة في نصوصهم، وإبداعاتهم الثرية والغزيرة بفيض من الأحداث، والجماليات التي ركنوا استظهارها في أعمالهم الأدبية".[1]

ثالثا: الأدب في زمن الحجر والعزلة

1. الأدب والأوبئة: كان الادب مرآة عاكسة لما يعيشه الإنسان في حياته، فالأدب يعرف غالبا بأنه ضرب من ضروب الفن الإبداعي ابتكره الإنسان ليعبر عن ما يدور في نفسه من مشاعر وعاطفة، بينما الوباء بأنه حزن وسقم ومرض يتعلق بالإنسان وكينونته. "ويرجه هذا عمليا إلى تفشي عدد من الأوبئة على مر العصور، وأثرها على السرد الغربي، وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا الادب، وشتى مجالات الحياة الإنسانية، فالأدب غن يعكس صور حياة الناس في المجتمع، فلهذا نجد الأمراض تستفز إبداع الكاتب ليوظفها في أدبه، فيبدع في تصوير ما يحدث في الواقع، فيسجل في ذاكرة الإبداع نتاجات أدبية يحاول من خلالها أن يوثق الواقعة والحدث، ومع تفاقم ازمة فيروس كورونا الذي منه النفوس والالسنة لكن طَفَا على سطح الساحة الأدبية والنقدية من جديد ما يسعى بمصطلح الأدب الوبائي أو أدب الاوبئة والذي انبرى له الشعراء مسجلين تجارب شعرية مريرة".[2]

أ. إقبال الأدباء على قيمة الوباء: لقد جاءت كورونا لتذكرنا بتاريخ منسي حاملة أسئلة عن علاقة الأوبئة بالتاريخ، لقد احتلت الأوبئة حيزا مهما في المدونة التاريخية "ومن الاعمال الادبية التي تدور في سياق الوباء رواية الطاعون "لألبير كامو" الرواية الوراية التي يعود كثيرون إلى قراءتها في أيام كورونا هذه

[1] زليخة ياحي، أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراق الوقائع مقاربة في رواية: الطاعون القرمزي لجاك لندن، مجلة الأدب والوباء، الصادرة عن جامعة "الجزائر"، السنة 2022، المجلد28، العدد خاص، ص 02، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 04، 05، بتصرف.

تدور حول ثلاث مستويات: مستوى وقائعي قام على وصف دقيق لأعراض الطاعون الذي ضرب وهران ومعرفة جدية بتاريخ الوباء الذي ينتقل من ال.... إلى البشر، ومستوى تجريبي فلسفي يطرح أسئلة عميقة من علاقة الإنسان بالموت والله والتوتر بين الفردي والجماعي، وأخيرا مستوى ثالث سأطلق عليه اسم الغياب من خلال تغييب سكان المدينة الأصلين كأن موتهم لا يعني شيئا، فالذي يعيش خارج اللغة الفرنسية الكولونيالية يموت من دون أن يكون لموته صدى، وذلك لعدم انتمائه إلى المحيط الفرنسي".[1]

ب. مقاربة في رواية الطاعون القرمزي لجاك لندن: تعتبر رواية الطاعون لجاك لندن واحدة من روايات أدب الاوبئة الاستشراقية، "وما احدثه هذا الطاعون من خراب ودمار، نستنتج من خلال هذه المقاربة في هذا المتن الروائي براعة جاك لندن في تصوير هذا الوباء باعتماد نظرة استشراقية ميزت كاتب النص وطبعت أسلوبه وأدبه الذي تناول وباء الطاعون القرمزي، بحيث رصد الواقع واستشرف الوقائع في هذه الرواية الرائدة في عالم أدب الاوبئة، ومن خلال هذه المقاربة نجد تاريخ الأوبئة والجوائح قديم وليس وليد اللحظة الراهنة عرفه الإنسان منذ أزمة عابرة كالطاعون الأسود، والإنلفونزا، وفيروس إيبولا والكوليرا وفيروس كورونا المستجد".[2]

2. الأدب والعزل أو الحجر الصحي (المنزلي): تختلف مظاهر التصدي للوباء وطرق الوقاية منه باختلاف العصر، وكنوع من الوقاية "كان لابد من الحجر الصحي، ومنه الاختلاف والتواصل الاجتماعي، بين الناس هذا ما فرض نوعا من نمط الحياة وهذا ما يسمى بالعزل الاجتماعي قد أدى إلى الإقبال على قراءة الروايات التي تتحدث عن الوباء مثل: (الحب في زمن الكوليرا، والطاعون والعمى) هذا العزل أو الحجر المنزلي خلق مساحة كبيرة الإبداع وهناك أعمالا أدبية وصلت إلى العالمية مثل: "الفرنسي" مارسيل بروست، أخرج عمله بحثا عن الزمن المفقود وكذلك اللبناني "بولس" سلامة الذي كان يقيع في سريره ولا يغادر فرقته "أبدع" في لشعر والفلسفة في كتابه الصراع في الوجود".[3]

---

[1] زليخة ياحي، أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراق الوقائع مقاربة في رواية: الطاعون القرمزي لجاك لندن، المرجع السابق، ص6، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 7، 8، بتصرف.

[3] المرجع نفسه، ص 10، بتصرف.

"كما أطلقت المؤسسة السعودية منصة العزلة "وتهدف إلى استثمار البقاء في المنزل لنشر الأدب إن أدب الحجر أو العزل أو حتى أدب السجون فغن ذلك يضيف قيمة فكرية وإبداعية من خلالها يرى المبدع أنه بعيد صخب الحياة ويكون الأديب في القاع ينهل منه ألام المجتمع وتطلعاته ففي العزل يتأمل المبدع ببصيرته، ويرتد إلى ذاته ويشتغل فيها بالتحليل الفلسفي وبناء عالم أفضل.

– الفترة الحالية التي نعيشها في زمن الوباء، لابد أن تفرز أدبا خاصا بها ولهذه المرحلة سيكون مختلفا في الطرح والمعالجة للوباء ومع التطورات الاخيرة صار النظر إلى الوباء يأخذ بعدا إذ جعل العالم متوحدا".[1]

– تأملات في العزلة: تدعونا العزلة نعيشها في كثير من الاحيان والأيام التي سببها الوباء مثل: وباء كورونا الخطير في العالم إلى "العزلة القسرية فهي تلك التي تفرض على الفرد بالقوة مثل السجين عقابا على جرم ارتكبه، أو بسب موقف سياسي أو رأي معارض للسلطة، ومثلها الإقامة الجبرية في المنزل، وهي عقوبة مقيدة للحرية تعرض عادة على سياسة وناشطة ضد سلطة قمعية أو سلطة احتلال، وتسمى أيضا الحبس المنزلي، والاحتجاز، وأخيرا العزلة الجماعية التي تفرضها الدول على مواطنيها، والمتمثلة بملازمة بيوتهم في حالات انتشار الأوبئة للحيلولة دون اختلاط الأصحاء بالمصابين".[2]

– أما من ناحية العزلة على الصعيد الإبداعي نجد تناول العديد من المبدعين في العالم، عبر أعمال أدبية وفنية، شخصيات متخيلة أو مأخوذة من الواقع عاشت حالات من الاعتزال الإرادي والقسري عن مجتمعاتها في فضاءات شتى لأسباب ودوافع مختلفة.

3. الكُتَابْ والعزلة: عاش الكُتَابْ عزلته أصلا جو الكتابة هو عزلة والعزلة الثانية فرضها الوباء. "أما عن الكُتَاب الأوروبيين الذين أدمنوا معاشرة العزلة، فهناك الكاتب "مرسيل بروست" الذي أحب العزلة بعد وفاة والدته وإصابته بمرض الربو، فاعتزل طوال ثماني سنوات مقاهي باريس وشوارعها وصالوناتها مفضلا ملازمة شقته في "هاملين" بالدائرة الثامنة بباريس، هناك بعض النقاد وأصدقاء "بروست" فيقولون بأنه تأثر بوفاة والدته ففضل العزلة".[3]

---

[1] زليخة ياحي، أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراق الوقائع مقاربة في رواية: الطاعون القرمزي لجاك لندن، المرجع السابق، ص15.

[2] عواد علي، تأملات في العزلة، مجلة الثقافة الجديدة، مارس 2025، دار الفكر، المجلد 02، العدد 01، ص15، 21.

[3] أنور المرتجي، كاتب وأستاذ جامعي، أدب ما بعد كورونا وجلية العزلة، مجلة الثقافة والأدب، اتحاد الكتاب العرب، السنة 2022، المجلد10، العدد03، ص78.

-أدى انتشار هذا الوباء بداية إلى الخوف والرعب بضع الناس وتأثيرات نفسية وسلبية، مثل: القلق والاكتئاب ومن هنا نجد كانت إلهاما لأغلب المبدعين فظهر ثراء في إنتاجاتهم وأعمالهم الأدبية، وعليه صدرت خلال هذه الفترة عدة دواوين ومجاميع قصصية.

4. ظاهرة الخوف والرعب: لاشك أن الجو النفسي كان حافزا من وراء الهلع والخوف بالسلوك الهستيري الجمالي، حيث يفقد الفرد كل استقلاليته المعاصرين الذين فاجأتهم الجائحة وهو يستعد منخرطا في كتابه رواية عن وباء الطاعون فاضطر أن يؤجلها وخلال العزلة الاختيارية في الحجر الصحي يقول الروائي التركي "أورهان باموق" الحائز على جائزة نوبل في خطاب الفوز بجائزة نوبل للأدب، بعنوان الحجر الصحي، هكذا قدمت العزلة روائع الأدب والفن للعالم".[1]

وكذلك نجد "جل الإبداعات الوبائية الكبرى التي كتبها كبار الكُتَاب العالميين أمثال: غارسيا ماركيز"، ألبير كامو، سراماغو نجدهم تطرقوا لأيام الحصار والعزلة كتجربة ذاتية معيشية وفردية للحجر الصحي، تترك البعد الفردي لهذه التجربة والمعاناة الشخصية، إبان الحجر الصحي أن يطبع الإبداع بلمسات خاصة ويرتبط برؤية متميزة وخاصة له لآفة الوباء، لكننا تفاجأنا بالموقف الرمادي الذي اتخذه الكاتب "الفرانكوفوني" "الطاهر بنجلوت" الذي أصيب بداء "كوفيد 19" مثل الكثيرين الذين أصيبوا بالعدوى".[2]

5. الحب والموت: وكذلك أثناء الجائحة يمكن أن يتسبب التواصل تقدم "الذي يعتبر فعلا إنسانيا أساسيا، في فنائنا، وبما أن انتشا فيروس كورونا المستجد يعتمد على التقارب بين الناس، فإن الهدف من التدابير الوقائية مثل: التباعد الاجتماعي وإجراءات الإغلاق هو الحد من وتيرة العدوى، ولاشك أن الكُتَاب سلطوا الضوء على مثل هذه المسائل في أعمالهم، ففي كتابة "مذكرات عام الطاعون" الصادر في 1722، يصف الكاتب الإنجليزي "دانيل ديفو" السلوك المهووس لسكان لندن في محاولة يائسة للنجاة

[1] انور المرتجي، كاتب وأستاذ جامعي، أدب ما بعد كورونا وجمالية العزلة، مجلة الثقافة والأدب، اتحاد الكتاب العرب، السنة 2022، المجلد10، العدد03، ص 45.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

من وباء مدمر ظهر عام 1665، باعتماد طرق لا تختلف عما نفعله حاليا: حيث كانوا يرتدون القفازات وينظفون كل شيء بالخل ولا يلمسون أحدا".[1]

وهنا نجد "دانيل ديفو" كيف يسلط الضوء على اهوال الحجر الصحي. "واصفا وضع الأمهات الحريصات على حماية أطفالهن من خلال البحث بشكل مستمر عن العلامات المميزة للمرض على أجسادهن ولكنهن في نهاية المطاف يتسببن في إصابتهم بالمرض بسبب القرب الجسدي، ليكون الحب سبب في وفاة عائلات بأكملها".[2]

[1] ألبير كامو، عام الطاعون، ما يخبرنا به الأدب عن الأوبئة، "الطاعون" الوباء في الأدب، مجلة الآداب والثقافة، السنة 2022، الساعة 10:43، (ب، ص).

[2] المرجع نفسه، (ب، ص).

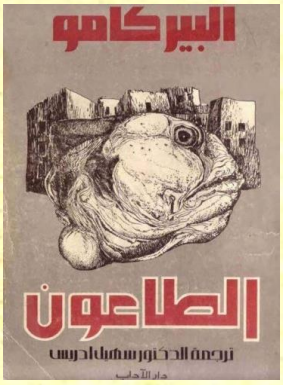

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية

لرواية الطاعون ألبير كامو

المبحث الأول: التعريف بالكاتب والرواية

أولا: التعريف بالكاتب

1. ألبير كامو وأهم إنتاجاته: روائي وفيلسوف فرنسي ولد في مندوفي، مقاطعة قسنطينة عام 1913، وكان أبوه ينتمي إلى عائلة من العمال المزارعين، وبعد أن أمضى طفولته في حي من أحياء بلكور (الجزائر العاصمة) وانتهى من دراسته الثانوية، حصب على شهادة الليسانس في الفلسفة في كلية الجزائر بدرجة امتياز. وبعد حصوله على الليسانس حضّر لديبلوم في الدراسات العليا عن أفلاطون والقديس أوغسطين. وفي الثانية والعشرين من عمره كوّن كامو فرقة مسرحية من الهواة أسماها "مسرح العمل théâtre de travail" ثم أصبح رائدا لفرقة أخرة هي الفريق "l'équipe" أهدى إليها مسرحية "سوء التفاهم"، ولقد قدم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره عدة مسرحيات نذكر منها مسرحية "تمرد في الأستوري" التي أهداها إلى عمال المناجم الإسبان المستشهدين في مدينة "oviedo" عام 1934م ومسرحية "ومن الازدراء" ومسرحية "عودة الابن الضال" ومسرحية الإخوة "كرامازوف" وهي رواية للأديب الروسي "دوستيفيسكي"، كما عمل صحافيا في جريدة الجزائر الجمهورية Alger républicain" و "paris-soir"، واشترك في المقاومة أثناء الحرب العالمية الثانية، هذه الحرب الذي نشر خلالها عن دار النشر "قاليمار"، "الغريب" 1942، وأسطورة سيزيف" 1943م .

ولم يتوقف كامي عن هذا العمل عذاة الحرب العالمية الثانية بل توالى انتاجه بغزارة: المتمرد عام 1951 وهو مقال فلسفي تاريخي أدى إلى القطيعة بينه وبين سارتر، و"السقطة" 1956، والمنفى والمملكة 1957، وهي السنة التي نال فيها جائزة نوبل للآداب لكشفه عن الأزمات التي يتعرض لها ضمير الإنسان المعاصر.[1]

2. مصادره الفكرية: استقى كامو فلسفته من خلال تأثراته الفكرية الفلسفية فكامو لجأ إلى أستاذه "جون جرونييه" حيث تتلمذ على يده الذي كان مسيحيا لذلك كان الخط الفكري لدى "كامو"، فأستاذه كان له الفضل الكبير في فكره الفلسفي، وكان أحد مصادر فكره حيث نجد في أحد المواضيع

[1] مختاري رضوان زكي، ألبير كامي في الوطن العربي "الجزائر أنموذجا" دراسة تحليلية نقدية لأعماله المترجمة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة السانيا، وهران، 2001/2000، ص12، 13.

اعتراف "كامو" بهذا التأثير من خلال قوله: "أنا مخلص لطريقتي، ولهذا سيجدون صدى فكر أستاذي "جرونييه" دائما في كل ما أكتبه وأنا سعيد بذلك"[1] فمن خلال هذا تتبين هذه العلاقة الحميمة بكامو التي جمعته مع أستاذه جرونييه.

وإذا انتقلنا للفلسفة الحديثة نجد أن البعض يرى بأن آراءه تشكلت تحت تأثير "شوبنهاور" و"نيتشه" و"الوجوديين الألمان" وتعبر فلسفته عن الضياع والقلق والعدمية، ويجعل تلك الحالات النفسية بمشكلة الانتحار وآراءه مليئة بالتطرف والتشاؤم والإنسان عنده في حالة عبثية دائمة ويواجه مواقف عبثية ومقدر عليه أن يقوم بأنشطة "لامعقولة" وليس لها أي معنى، وتتجلى في أعمال "كامو" النزعة المغرقة في الذاتية والهاجسية الشديدة ونزعة اللاعقلانية والتشاؤمية، والأنانية المفرطة، وهي انعكاس لضياع الإنسان في النظم شديدة التعقيد وسيطرة الآلة والضجيج والقرف.[2]

كما ساهمت أيضا ازدواجية الانتماء (الفكر الأوروبي والفكر العربي الجزائري) وهذا جعل من فكر "كامو" مزدوج بين ثقافتين مختلفتين، كما يقول أحدهم: "وهذا الالتحام الفكري ظهر لنا نوع جديد من الثقافة له خصائصه المتميزة الخاصة به، والتي ليست كلها فرنسية ولا جزائرية وإنما هي ثقافة مزيجه من الاثنين، هذه الثقافة التي ينتمي إليها كامو.[3]

ثانيا: رواية الطاعون

تستمد الرواية منظورها من زمن فلسفي يحاول أن يستوعب أزمنة فارقة تصنعها الأزمات والصدمات التي تجعل الإنسان حائرا أمامها تماما مثلما حملت الحروب والأزمات الاقتصادية والأمراض الفتاكة التي شهدها القرن الماضي خصوصا النصف الأول منه والصدمات التاريخية الماضية التي شكلت روحا وندوبا تاريخية في ذاكرة الإنسانية على المستوى النفسي خصوصا وعلى مستوى صراع آخر مع الأوبئة والميكروبات " تعالج الرواية من خلال شخصياتها السلوك الإنساني الوهن اتجاه الجوائح ومعرفة القدر الأخلاقي الذي يحيط به نفسه ومع ذلك هو امتحان يستدرك فيه الأخير مواقفه والتزاماته مع

[1] عبد القادر توزان، الشعور بالاغتراب عند أبي علاء المعري وألبير كامو، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الدراسات الأدبية المقارنة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر العاصمة، 2006/2005، ص144.

[2] خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصرة، ط1، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت، ص176.

[3] عبد القادر توزان، المرجع السابق، ص147.

الطرف الأخر هذا ما تريد الرواية أن تخرج به لأن في الأخير هي الحكمة والتعقل هو الذي ينبغي أن يسود في تسيير هكذا محن يبدو أن هذه السلوكات ومآلاتها مرشحة مع كل جائحة. [1]

1. سردية الرواية: تعود تفاصيل الرواية إلى طبيب فرنسي يدعى "برنارد ريو" الذي يعيش في مدينة وهران بالجزائر ولكن كلّ الذين يتعامل معهم في المدينة هم من الفرنسيين، في تغييب كامل للسكان العرب، وتعاني زوجته الشابة من مرض عضال استوجب نقلها إلى مدينة أخرى خارج وهران حيث تتوفر ظروف أفضل للعلاج وفي الأثناء قدمت أم الطبيب لتعيش مع ابنها وتساعده في شؤون البيت.[2]

في مدينة وهران بدأت آلاف الجرذان التي لم ينتبه لها الأهالي في البداية تموت في الشوارع، وبعد ذلك أخذت تلك الهستيريا بالتنامي والإزدياد، الأمر الذي جعل الصحف المحلية تتناول هذا الحادث. وبعد استجابتها لضغوط الأهالي تأمر السلطات بجمع الجرذان الميتة وحرقها غير مدركة أن تلك المجموعة نفسها كانت العامل المحفز لإنتشار الطاعون الدبلي.

ليبدأ "كامو" بسرد الرواية في صبيحة السادس عشر من أبريل على لسان شاهد غامض حيث يرى الطبيب "برنارد" ذلك الجرذ اللعين ميتا أمام عتبة البناء الذي يسكن فيه، لم يعره أدنى اهتمام حينها حيث اكتفى بإلقاء نظرة عليه ثم قام بركته جانبا،[3] لكن وبعد تكرار حوادث موت الجرذان يبدأ الطبيب بالتساؤل "أمن المعقول أن يكون الطاعون؟...".

وهنا لاحظ "برنارد" في البداية موت الفئران في المدينة بطريقة لافتة، ثم أصاب مرض غامض بوّاب العمارة وأودى بحياته دون أن يتمكن الطبيب من انقاذه،[4] ليبدأ المرض في الإنتشار تدريجيا ممّا جعل الطبيب وبعض زملائه يقتنعون بأنها من أعراض الطاعون،[5] وبذلك دفعت السلطة الجهوية إلى إغلاق المدينة كليا ومنع السفر منها وإليها.

---

[1] طعام عمر، عزوني سمير، سوسيولوجيا الأوبئة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع2، 2022، ص4.

[2] محمود مُحَمَّد علي، أدب الأوبئة والجوائح، رواية الطاعون لألبير كامو أنموذجا، جامعة أسيوط، مصر، ب.ت، ص12.

[3] ألبير كامو، الطاعون، تر: سهيل إدريس، ط1، دار الآداب، بيروت، 1981، ص9.

[4] المصدر نفسه، ص25.

[5] المصدر نفسه، ص40.

وانطلقت آنذاك معركة الطبيب الكبيرة ضد الطاعون حيث بدأت أعداد المصابين تتكاثر إلى أن صارت تعدّ بالمئات كل أسبوع، وقد دعا الطبيب إلى عزل طل الأشخاص المصابين وإلى عزل كل الذين تعاملوا معهم،[1] ولم يجد لديه أي دواء فعال ضد الوباء فكان يستقبل المرضى في المستشفى ويحاول تطهير تقرحاتهم ومدهم بالأدوية المتاحة التي لم تظهر أي جدوى في مواجهة المرض، كانت الحمى الشديدة تلم بالمرضى إلى جانب أعراض أخرى جلدية ونفسية تزيد من معاناة المصاب وألمه وتؤدي به في الأخير إلى الموت.

أيام قليلة فقط ويبدأ الموت يدبّ إلى الناس أيضا وتزداد الوفيات يوما بعد آخر ولا أحد يجرؤ أن ينطق باسم ذلك الوباء المفجع من قبل السلطات المحلية لكن حين تصل الوفيات إلى حدود اللامعقول يعترف الناس بالحقيقة المفجعة أخيرا "المدينة مصابة بالطاعون" وهنا تسيّج المدينة وتغلق منافذها تماما وتعزل عن العالم الخارجي.[2]

كما كان الموتى يدفنون في البداية في مقبرة المدينة ثم ارتفع عددهم فصاروا يدفنون في مقابر جماعية وأخيرا صارت جثثهم تحرق فلا يبقى منها إلا الرماد، وكما داهم الطاعون أبناء المدينة دون استئذان فإنه غادرها بعد عشرة أشهر ليعيد إليها طمأنينتها.

ولم يكن الدكتور "ريو" يواجه لوحده وباء الطاعون بل وجد مساندة من بعض المتطوعين من المنتسبين إلى المجتمع المدني على غرار السيد "تارو" والقسّ "بانلو" والصحفي "رمبارت" والقاضي "أتون" ولكل واحد من هؤلاء قصته.[3]

2. أحداث الرواية:

أ. الزمان: رواية الطاعون لألبير كامو تدور أحداثها في أربعينات القرن الماضي، فهي ترمز إلى الاحتلال أو النازية التي تنفذ إلى قلب شعب من الشعوب كما تنفذ الجرذان إلى مدينة لتنشر فيها وباء الطاعون، ورواية كامو لا تخص مرحلة معينة وإن كان يتحدث عن أمراض مجتمع نهشته النازية فهو يتجاوزه ليمس كل الأجيال في كل زمان ومكان.

[1] ألبير كامو، الطاعون، المصدر السابق، ص68.

[2] المصدر نفسه، ص69

[3] محمود محمّد علي، المرجع السابق، ص17.

نشرت الرواية سنة 1947 لأول مرة بعد انقضاء الحرب العالمية الثانية وتحرر فرنسا من النازية وكان ذلك من زمن المراجعات في الكثير من المجالات والأفكار، كما كان زمن بدايات انتشار الفكر الوجودي في أوساط المثقفين الديمقراطيين الفرنسيين والأوساط الشعبية.

ب. المكان: تدور أحداث الرواية في مدينة وهران حيث أنها مقاطعة فرنسية على الشاطئ الجزائري، فهي مدينة قبيحة، هادئة المظهر، مدينة تجارية، وهي مدينة بلا حمام ولا أشجار ولا حدائق حيث لا خفقات أجنحة ولا حفيف أوراق. إن السماء وحدها هي التي تنبئ بتغير الفصول، ولا يؤذن بالربيع هناك إلا نوع الهواء الرخيّ أو سلال الزهور التي يعود بها الباعة الصغار من الضواحي.

وهران مدينة لا ظلال فيها أي أنها مدينة عصرية تماما، حيث قسوة المناخ وأهمية الانشغال وتفاهة المناظر وسرعة الشفق، ومزّية اللذائذ، كل ذلك يتطلب الصحة الجيدة، فالمريض يشعر بالوحدة شعورا عميقا، فما بالك بشخص يشرف على الموت، بعد أن وقع في الشرك خلف مئات الجدران الملتهبة حرارة، ينهمك شعب بأكمله في المقاهي أو على التلفون يتناقش في السندات وتذاكر الشحن والحسم.[1]

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص6-8.

المبحث الثاني: الشخصيات في الرواية وأسلوبها

أولا: الشخصيات في الرواية

1. الشخصيات الرئيسة:

أ. الدكتور برناريو: هو الشخصية المحورية في الرواية والراوي الحقيقي للأحداث حسب ما صرح به في الفصل الأخير وأنه التزم التجرد والحياد في نقلها مستعينا بمذكرات "تارو" وصورة الطبيب في الرواية تمدنا بشخص هادئ مسؤول، مفعم بالنشاط، يحترم الآخرين ولا يعامل أحد باستعلاء، نسق الطبيب اجراءات الوقاية والاسعاف والمرافقة للمصابين بالطاعون في مدينة وهران، وواكب عن قرب ما حصل في المدينة خلال اصابتها بالطاعون وقام بواجبه الطبي والانساني عل أحسن وجه[1].

ب. جان تارو: وهو صديق الطبيب "ريو"، قبل أن يأتي الطاعون كان يحب التواصل مع الراقصين والموسيقيين الاسبان في المدينة كما أنه يحتفظ بمذكرات مليئة عن الحياة في وهران، تارو هو أول من طرح فكرة تنظيم فرق من المتطوعين لمحاربة الطاعون، إنه يشعر أن هذا الوباء مسؤولية الجميع وأن على كل شخص القيام بواجبه.

ج. رمون رامبرت: صحفي يزور وهران للقيام بتحقيق لحساب صحيفة فرنسية كبرى عن ظروف حياة البشر، لكن سرعات ما يتلاشى عندما يضرب الطاعون فيجد نفسه محاصرا في مدينة لا علاقة له بها. فيحاول بكل الطرق مغادرة المدينة والالتحاق بصديقته باريس التي يفتقدها كثيرا ولكنه غير رأيه في آخر لحظة وقرر البقاء في المدينة ومواصلة المساعدة في محاربة الطاعون لأنه أصبح يشعر أنه ينتمي إلى وهران وأن الطاعون من شأن الجميع.

د. جوزيف جراند: كاتب في حكومة المدينة يحاول أن يكتب كتابا لزوجته التي تركته لكنه يصاب بالطاعون ويطلب من "ريو" أن يحرق مخطوطة لكنه سرعان ما يتعافى وفي نهاية الرواية يبدأ بداية جديدة في كتابه لزوجته.

[1] محمود محمّد علي، المرجع السابق، ص18.

هـ. كوتارد: بائع للنبيذ والمشروبات الكحولية متجول في المدينة، شخصية غريبة الأطوار، يحاول شنق نفسه في غرفته، يبدو أنه يستمتع بقدوم الطاعون، فهو يستغل الأزمة لكسب المال عن طريق بيع السجائر المهربة والمشروبات الكحولية.[1]

ن. الأب باتيلو: كاهن، ألقى خطبة في المرحلة الأولى من تفشي الطاعون، لديه طريقة قوية في الاقناع يذكر أن الطاعون هو بلاء أرسله الله.

2. الشخصيات الثانوية:

أ. ميشيل: بواب العمارة التي يسكت بها الدكتور "ريو" أصيب بمرض جعله يشعر دائما بالتعب وارتفاع جرارة جسمه وجفاف فمه، وهو أول من مات بالطاعون.

ب. المحافظ: اتخذ كل الاجراءات الضرورية لمكافحة الطاعون، كما قام بإغلاق المدينة بعد تفشي الوباء.

ج. د. كاستل: هو أحد زملاء الدكتور "ريو" يعمل بجد لصنع مضاد للطاعون.

د. أوثون: قاضي في وهران يعامل زوجته وأطفاله بقسوة، ولكن بعد وفاة ابنه من الطاعون تلين شخصيته ويصاب بالطاعون ويموت.

هـ. ريشلرد: رئيس مجلس إدارة جمعية وهران الطبية، بطيء في التوصية بأي اجراء لمكافحة الطاعون خوفا من الذعر العام.

ن. ضابط الشرطة: المحقق الذي أجرى تحقيقا حول محاولة انتحار كوتار.

نلاحظ أن جميع شخصيات الرواية من الأوروبيين رغم أن أحداثها تقع في وهران، ذلك أن العرب كانوا أقلية في المدن الكبرى أثناء الاستعمار.[2]

[1] عمارة فتيحة، حمو حليمة، صورة الجزائري في رواية الطاعون لألبير كامو، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم الدراسات الأدبية واللغوية، تخصص أدب مقارن وعالمي، جامعة عبد الحميد ابن باديس، 2023/2022، ص58.

[2] المرجع نفسه، ص59.

ثانيا: أسلوب الرواية

احتوت رواية الطاعون لألبير كامو على عدة قيم علمية تجسدها تلك الحوارات والمناظرات بين شخصيات الرواية وقيمة تاريخية تبرز في محاولة وصفه لمجتمع مدينة وهران خلال فترة الحرب العالمية الثانية، والتي يعتبرها مسرحا لأحداث هذه الرواية كون الهدوء والاطمئنان يسود العلاقات العامة بين أفراد المدينة، وقيمة أدبية تكمن في كون "كامو" يسرد الأحداث من منطلق روائي ضمن قالب إيجابي ممزوج في بعض الأحيان بالخيالية التي تعطيه طابعا أدبيا فنيا راقيا، وهو ما يميّز العمل الأدبي عن التاريخي فكلاهما يعتمد أسلوب السرد، إلا أنهما يختلفان في طريقة وكيفية ايصال الفكرة المراد تبليغها للقارئ، فالكم الهائل من الشخصيات المتداولة في رواية الطاعون وقلقها من الوباء الذي هدّد حياتها وجعلها محصورة ما بين الموت والحجر، كل هذا يفصح عن تلك الشخصيات ومواقفها ضمن الرواية.

أما في ما يخص أسلوب الرواية فقد اعتمد كامو للأسلوب الخبري لأنه في سياق سرد حقائق وعرض سيرة ذاتية متعلقة به، وقد اعتمد على الراوي في الجانب المتعلق بالزمن وتكثر في الرواية التكرارات والحوارات والمحادثات التي لا فائدة منها، كما اعتمد على أسلوب التحليل بكثرة بحيث نلمس نوعا من الأطناب في عملية سرد الأحداث الخاصة فيما يتعلق بوصف الشخصيات.[1]

[1] عمارة فتيحة، حمو حليمة، المرجع السابق، ص60.

المبحث الثالث: الرمزية والنزعة الإنسانية في رواية الطاعون وتأثيرها في الأدب

أولا: الرمزية في رواية الطاعون

إن الرمزية في الأعمال الأدبية تتيح تعدد القراءات وتستثير النشاط العقلي للقارئ من خلال اعتمادها عدم التصريح والغموض مما يضفي على هذه الأعمال مزيدا من الجمالية.

ويشير "كامو" إلى الطبيعة الرمزية لرواية الطاعون في الصفحة الأولى من الرواية وقد أخذ العبارة التي صدرها روايته من مقدمة "دفو" للمجلد الثالث من رواية روبنسن كروزو: "... إن تصور نوع من السجن عن طريق تصور نوع آخر شيء معقول بقدر ما هو معقول تصور شيء موجود فعلا بشيء آخر لا وجود له..." إلا أن "كامو" يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه "ديفو" فهو يستخلص معنيين مجازيين من رمز "الطاعون" حيث أن الرواية مليئة بالإشارات الواضحة المتكررة سواء إلى الاحتلال الألماني أو قصور الإنسان الميتافيزيقي في هذا العالم..."[1] وبهذا تكون هذه الرواية قد تضمنت بعدين هامين هما البعد التاريخي والبعد الميتافيزيقي.

1. البعد التاريخي: إن من الضروري لمن يريد أن يتتبع البعد التاريخي لرواية الطاعون ورمزيتها إلى الاحتلال النازي لفرنسا ولباقي أوروبا أن يكون ملما بأحداث هذه الحقبة التاريخية الحبلى بالمآسي والأحزان، خاصة تلك المتعلقة بالحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من مخيمات الإبادة والاعتقال (مخيم أوشفيتز) والمجازر التي ارتكبت في حق اليهود والمدافن الجماعية، إضافة إلى الإلمام بقضايا أخرى ذات الصلة بهذا الحدث التاريخي كالمقاومة الفرنسية وحكومة فيشي العميلة وغيرها.

ويمكننا تلمس الرمزية التاريخية لهذه الرواية من خلال الاسقاطات التالية:[2]

- غزو الجرذان لمدينة وهران وخروجها من مخابئها لتموت بعد ذلك على قارعة الطرقات يرمز إلى غزو الجيش الألماني لمدينة باريس: "... وأدرك مواطنونا أنهم لم يكونوا قد فكروا لحظة بأن مدينتنا الصغيرة يمكن أن تصبح مكانا ملائما لموت الجرذان تحت أشعة الشمس ولهلاك البوابين من جراء أمراض غريبة...".[3]

---

[1] كروكشانك جون، ألبير كامي وأدب التمرد، ترجمة وتعليق وتصدير: جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986، ص238، 239.

[2] بوبكر بن عبد السلام، النزعة الإنسانية في الرواية الكولونالية رواية الطاعون لألبير كامو ورواية أعالي المدينة لإمانويل روبلس نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص آداب عالمية، جامعة عباس لغرور، خنشلة، 2014، 2015، ص139.

[3] ألبير كامو، المصدر السابق، ص26.

– حديث السارد عن أفران حرق الجثث في قوله: ".. ووجب بعد حين سوق ضحايا الطاعون أنفسهم إلى فرن الحرق، ولكنهم اضطروا إذ ذاك إلى استعمال فرن القرميد الذي يقوم في شرق المدينة..."[1] فيه اشارة إلى المحرقة التي ارتكبها الجيش الألماني ضد اليهود والتي أثارت جدلا حادا بين الكثير من المؤرخين الغربيين أنفسهم.

– أما ما تعلق بإنشاء "تارو" للفرق الطبية وتنظيمها وهيكلتها والإشراف على مختلف نشاطاتها، والتي وردت في قول الراوي: "... منذ اليوم التالي انصرف "تارو" إلى العمل فألف فرقة أولى ما لبثت أن لحقت بها فرق أخرة كثيرة ..." وقوله: "... من أجل ذلك ينبغي الحكم برضى موضوعي على فرقنا الصحية التي تحققت بفضل "تارو"..."[2]، فإنه يمكن إسقاط ذلك على نشاط المقاومة الفرنسية للنازية التي كان "كامو" أحد رموزها على صفحات جريدة "كفاح Combat" جنبا إلى حنب مع "باسكال بيا" رئيس تحريرها.

– الدفن الجماعي في الحفر يرمز هو الآخر إلى تلك المجازر اللاإنسانية التي أودت بحياة الآلاف، بل الملايين في فرنسا وباقي الدول الأوروبية والتي من جراءها انتشرت ظاهرة الدفن في الحفر، لأن البور لم تعد تفي بالغرض، وعن هذه الحفر يقول الراوي: "... ففي طرق المقبرة تشق حفرتان كبيرتان في قطعة أرض مكشوفة... كانت هناك حفرة للرجال وحفرة للنساء..."[3].

– وبتلاشي هذا الوباء عمّت الفرحة مختلف أرجاء المدينة وارتفعت صيحات الانتصار على هذا الداء اللعين، وفي هذا تماه مع لحظات النشوى التي عاشها الفرنسيون غداة التحرير، يقول الراوي عن هذه اللحظة: "... وارتفعت من الميناء المظلمة الصواريخ الأولى للاحتفالات الرسمية فحينها المدينة بصرخات طويلة صماء..."[4].

2. البعد الميتافيزيقي: إن رواية الطاعون في بعدها الميتافيزيقي، ترمز إلى عبثية الوجود الإنساني في المقام الأول، فنرى السارد يفتتح السرد بحديثه عن مدينة وهران التي تبدو من الوهلة الأولى مدينة بلا روح ولا معنى للحياة فيها فيقول: "... وينبغي الإعتراف بأن المدينة نفسها قبيحة ...فكيف السبيل مثلا إلى

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص179.
[2] المصدر نفسه، ص134.
[3] المصدر نفسه، ص176.
[4] المصدر نفسه، ص301.

تصور مدينة بغير حمام ولا أشجار ولا حدائق، حيث لا خفقات ولا حفيف أوراق....". إن هذا التناقض بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه هو الذي يدفعه إلى الشعور بالعبث، فما دام غير قادر على تفسير هذا العالم تفسيرا عقلانيا، فهذا الشعور سيستمر والسؤال سيبقى مطروحا: هل تستحق هذه الحياة أن تعاش؟ إن الشعور بعبثية الوجود الانساني وبالآلام الإنسانية، شعور قد يختفي لبعض الوقت ولكنه لا يموت، مثله مثل قميصه الطاعون: "... إن قصيمة الطاعون لا تموت ولا تختفي قط، وإنها تستطيع أن تظل عشرات السنوات نائمة في الأثاث والملابس، وإنها تترقب بصبر في الغرف والأقبية والمحافظ والمناديل والأوراق التي لا حاجة لها، وأن يوما قد يأتي يوقظ فيه الطاعون جرذانه...".[1]

ويرمز الطاعون كذلك إلى الطبيعة الشريرة في الإنسان، متنكرا بأقنعة مختلفة، قد تأخذ شكلا استبداديا أو ثوريا أو متطرفا أو حتى شكل العدالة، هذه الطبيعة الشريرة هي التي تتسبب في شقاء الإنسان وموته. يقول "تارو" متحدثا إلى "ريو": "... إن كل إنسان يحمل في جلده الطاعون..." في إشارة إلى أن في مقدور كل واحد منا أن يبرر في يوم ما قتل إنسان لأسباب مشروعة أو غير مشروعة، ويضيف: "... وأن على الإنسان أن يراقب نفسه من غير انقطاع حتى لا يتنفس، ذات لحظة من لحظات الشرود، في وجع إنسان آخر، فيلصق به العدوى..." وفي هذا دعوة من الراوي، الطبيب "ريو" إلى أن لا نصدر وباءنا وطاعوننا في أي شكل كان: موتا أو احتلالا أو نظاما ديكتاتوريا شموليا إلى الآخر، حفاظا على النفس البشرية وصيانة لها وتحقيقا للنزعة الإنسانية للكائن الإنساني.[2]

ثانيا: النزعة الإنسانية في الرواية

إن هدف رواية الطاعون هو تحالف البشر والإلتحام من أجل القضاء على الوباء، فيصبح الطاعون قضية العام والخاص، ويخلص الجميع إلى أن تأدية الواجب تكمن في التضحية، ويصبح الطاعون قضية مشتركة بين الجميع، فكامو يدعو الإنسان إلى الإتحاد من أجل الخلاص وتحقيق الحرية والسعادة، وقد كانت فلسفته عبارة عن تمرد على الآلهة، وقد عالجت هذه الرواية مجموعة من القيم تمثلت في:

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص302.

[2] بوبكر بن عبد السلام، المرجع السابق، ص142.

1. **التضامن:** يعتبر التضامن من أسمى القيم الإنسانية وهو يجسد أرقى مظاهر التعاون والاتفاق في جماعة بهدف تحقيق مصلحة عامة وقد يشمل الجانب المادي أو الروحي أو السياسي أو الاقتصادي. وقد صور كامو هذه القيمة من خلال شخصية الطبيب "ريو" وصديقه "تارو أوتون" وتندرج هذه الشخصيات تحت ظل معادلة الوباء وهذا ما أكده "رامبير" بقوله "هذه القضية تعنينا جميعا.

وبما أن وباء الطاعون وباء خطير وخارج عن السيطرة فلابد من تكاثف الجهود دون إستثناء وهذا ما عمل على تحقيقه الطبيب "ريو"، محاولا استغلال وجود الصحفي "رامبير "الذي كان بصدد القيام بتحقيق عن ظروف العرب لصالح صحيفة باريسية بقوله "هل تستطيع أن تصدر دينونة قاطعة؟[1]

فرد قائلا "قاطعه لا ... ينبغي الاعتراف بذلك"، يسعى الطبيب من خلال سؤاله هذا إلى إيصال صوت المدينة المنكوبة (وهران) إلى الخارج ونقل الأحداث دون تزييف وتحريف، ولا ننكر أن الطبيب نجح نوعا ما في إقناع الصحفي ولم تتوقف جهود الطبيب "ريو" هنا فقد نظم الحجر الصحي هو و"رامبير" فعليا بعد أن كان شكليا فقط "وقد أمرا بصورة خاصة أن يعزل أفراد أسرة واحدة أحدهما عن الآخر.[2]

ويوما بعد يوم يزداد الأمر سوءا وتعقيدا وهذا ما دفع بتارو بعد تأمل وتفكير عميق للتقدم بطلب لمقابلة الطبيب "ريو": "إن عندي مشروعا لتنظيم تشكيلات صحية متطوعة، فاسمحوا لي بأن أعنى بها، ولندع الإدارة الحكومية جانبا".[3]

وجاء إقتراح "تارو" بعد تيقنه بعجز السلطات عن السيطرة على الوضع الراهن ولم يكتف "تارو" بهذا فقد طلب من رجال الدين "بانولو" الانضمام، وقبل القس "بانولو" بهذا العرض وانضم إلى المجموعة " وقد قبل بانولو أن يحل محل رامبير في دار الحجر".[4] ولا ننسى أيضا القاضي "أوتون" ذو الملامح القاسية والجبارة وأثر في هذا التغيير.

---

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص209.

[3] المصدر نفسه، ص127.

[4] المصدر نفسه، ص205.

2. النفي والوحدة: إن أول ما حمله الطاعون لمواطني سكان وهران هو النفي، فقد شعر الكثير منهم بفراغ كبير في نفوسهم وانفعال واضح، ورغبة في العودة للوراء وكأن لا وجود لهذا الوباء، ولا وجود لحبس وسجن في البيوت لدرجة الشعور بالوحدة: "إن الراوي المقتنع بأنه يستطيع أن يكتب هنا، باسم الجميع، ما شعر به هو نفسه آنذاك، مادام قد شعر به مع كثير من مواطنينا، أجل، فقد كان حقا شعور النفي"[1]، حيث لم يعش هؤلاء السكان هذه الحالة من قبل، وكان موقف الإنسان من هذا الأمر موقف العاجز المندهش، فهو لم يرى أعدادا مثل هذه تغزو الشوارع والمنازل تنطلق بصرخة مدوية ثم تموت، ما جعلهم في ارتباك وحيرة كبيرة، وتفكير عميق لدرجة أنه يخيل إليهم أنهم لن يستطيعوا الخروج من حفرة هذا الوباء الذي هلّ عليهم، فهم يرون أنفسهم بشر تائهين ذو مستقبل مجهول، ولا قوة لهم بتقبل هذا الوضع إلا فكرة العيش في وسط هذا الألم، وكأنهم يشعرون ما يشعر به المنفيين والسجناء خلف القضبان الحديدية من عذاب أليم لا خروج له من التفكير الذي يتزايد يوم بعد يوم، ولا نكتفي بقول النفي هو الوحدة في نفس المكان فقط، بل نجد الدكتور "بيرنار ريو" مثلا لم يرى زوجته التي تبعده ببلد كامل: "وبالرغم من أن الراوي لم يعرف إلا نفي جميع الناس، فعليه ألا ينسى أولئك تتفاقم في شعورهم، كالصحفي "رامبير" أو سواه، آلام الفراق لكونهم، وهم مسافرون، فاجأهم الطاعون وحبسهم في المدينة، فقد وجدوا أنفسهم بعيدين في وقت واحد عن الكائن الذي لا يستطيعون اللحاق به والبلد الذي كان بلدهم، إن هؤلاء في النفي العام".[2]

ونتيجة هذا الكلام هو غلق جميع أبواب المدينة لا أحد يخرج أو يدخل إليها أي حجر كلي، وهذا ما جعلهم يعيشون شعور النفي والوحدة والضغط والتفكير المستمر حول ما سيحدث لاحقا، فالطاعون الذي يغرب ثم يعود من جديد هو تذكير بالمنفى الداخلي وسط أمواج الموت وهو أقسى أنواع المنافي.

3. الدين: يعتبر الدين واحدا من القيم التي تناولها ألبير كامو في رواياته بإيحاءات مختلفة، يطرح "ألبير كامو" في روايته جملة من الأحداث حول مدخل الطاعون الذي سحق الكثير من الأرواح بل أوشك أن يقضي على الجميع، ورغم الأخذ بكافة التدابير الوقائية للحد من هذا المرض إلا أنهم لم ينجحوا، وهذا

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص74.

[2] المصدر نفسه، ص76.

ما دفعهم للعالج الروحي، أي الدعاء والتضرع لله من خلال الأدعية والصلوات والاستغفار لعل الله يرفع عنهم هذه المحنة. كما دعت الكنيسة الناس جميعا للحضور دون استثناء لسماع الخطبة فخطب القس "بانولو" بقوله: "يا إخوتي، إنكم في المصيبة يا إخوتي، وإنكم لا تستحقونها"[1] مشيرا إلى أن هذه عقوبة إلاهية نتيجة ضعف إيمان الناس والجري وراء ملذات الدنيا، ولم يكتف الأب "بانولو" بهذا فحسب وعاد للتذكير بأن هذا الوباء ظهر من قبل لمعاقبة أعداء الرب بقوله: "لقد ظهر هذا الوباء للمرة الأولى في التاريخ ليصعق أعداء الرب"،[2] وكأن الأب "بانولو" أراد أن يحمل المسؤولية للناس الذين أشغلتهم الدنيا بشهواتها فابتعدوا عن الله.

وفي ظل إجتهاد القس "بانولو" في توعية الناس ودق ناقوس الخطر من الناحية الدينية، فجدير بالذكر أن نشير إلى أن الطبيب "ريو" ملحد لا يؤمن بوجود الله وكان جوابه على سؤال "تارو": "لماذا تظهر أنت نفسك بهذا القدر الكبير من الإخلاص ما دمت لا تؤمن بالله؟ فرد قائلا: "أنه لو كان يؤمن بإله قدير لكفّ عن شفاء الناس".[3]

ظل الأب "بانولو" يكافح طويلا ويقنع الناس أنه عقاب إلهي إلا أن موقفه هو الذي يستطيع الصمود أمام مشهد موت إبن القاضي "أوتون": "ولكنه منذ ذلك اليوم الذي تطلع فيه طويلا إلى صبيّ يموت، بدا أنه يتغير ".[4] وهنا نلاحظ أنه في صراع وشك بين العقل والإيمان، وهذا ما دفعه إلى إلقاء خطابا في الكنيسة يوضع فيه هذا القلق "يا إخوتي لقد أتت الساعة فيجب أن تؤمنوا بكل شيء وتنكروا كل شيء ومن هو الذي يجرؤ فيكم على إنكار كل شيء[5] " وكأنه أراد القول أن هذا الطاعون هو امتحان على الصبر عند فقدان الأحبة، كأن "كامو" أراد القول أن يقول أن الدين لا يملك سوى الدعاء في مواجهة هذه الجائحة، في حين كان الطاقم الطبي يسعى جاهدا لمحاربة هذا الوباء محاولا اكتشاف أمصال جديدة مؤثرة ومعالجة وهو بمثابة إقرار واعتراف من "كامو" بأن الدين عاجز عن حل مسائل الحياة والموت.

---

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص97.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] المصدر نفسه، ص129.

[4] المصدر نفسه، ص217.

[5] المصدر نقسه، ص221.

4. عبثية الموت: بدأت الأحداث في صباح منتصف نيسان، حيث يرى الدكتور "ريو" ذلك "الجرذ اللعين" ميتا أمام عتبة داره، لكنه لم يعره أدنى اهتمام حينها، حيث اكتفى بإلغاء نظرة عليه ثم قام بركنه جانبا: "خرج الدكتور برنار ريو صباح 16 نيسان من عيادته، فعثر بجرذ ميت وسط سطيحة الدرج، فأزاحه على التو من عير أن يكترث له".[1]

لكن وبعد تكرار حوادث موت الجرذان بدأ الدكتور يرى أن الأمر يستحق الاهتمام على أي حال: "وكانت خادمته قد أتت تبلغه بأن بضع مئات من الجرذان الميتة قد جمعت في المصنع الكبير حيث يعمل زوجها"[2] وموت العديد من الجرذان هنا، نستطيع أن نطابقه مع ما نعيشه في واقعنا الحالي، حيث نرى أن فيروس كورونا قتل بسببه مئات وآلاف الأشخاص في ايطاليا مثلا، وقد وصل بهم الحد أنهم لم يجدوا حتى أماكن لدفن موتاهم. ثم اكتشف "ريو" بأنه الطاعون، ولعله استخدم لفظة الطاعون كإستعارة عن العبث الذي يعتري الوجود الإنساني، والموت الذي يترصد الجميع أفرادا وجماعات، وعمل على تجسيد طرائق مختلفة لمواجهة الشر وعبثية الحياة، والذي يبدو أنه اختاره "ألبير كامو" بطلا لقصته، وذلك لدوره في مواجهة الطاعون، حتى في الحالات التي يتملكه فيها اليأس.

ويبدو له أن ليس ثمة أمل بالنجاة، حيث واصل "ريو" أبحاثه مدفوعا بما يسميه "بالواجب الأخلاقي"، يجسد "ريو" النموذج الذي سيحمل أعباء البشرية على عاتقه ويكافح في سبيل تحقيق الخلاص الجماعي، كما أن من أكثر الشخصيات إثارة للجدل هي شخصية "تارو" ، حيث يجمع "تارو" ما بين السخرية الصارخة من الواقع العبثي، والحزن العميق على المصير الإنساني، إنه يجسد ما يسميه "ألبير كامو" بـ "الحزن الفلسفي" في هذا العالم، واللاجدوى بصورتها المأساوية. لم يكن "تارو "غير مبال بالمصير الإنساني، بل إنه كان يتألم له حتى النخاع، لكن لم يكن يمتلك سوى سخريته في مواجهة هذا الواقع المتردي: "إن الشيء الوحيد الذي يهمني، هو أن أنعم بالطمأنينة الداخلية.[3]

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص30.

كذلك توجد شخصية "كوتار" الذي حاول الانتحار في البداية، وعندما استجوبوه عن السبب قال لهم: "أحزان خاصة "،[1] فهو ينظر إلى الطاعون بوصفه فرصة ومصدر استرزاق، فيحرص على استغلال الكارثة، والاستثمار في الألم من أجل تنمية رصيده المالي، وهو يجسد الانحطاط الإنساني الذي لا يرده وازع أخلاقي فهنا يطرح "ألبير كامو" رؤية مختلفة للموت، ويتخذ من هذه الرواية موقف إدانة لكل أشكال التنصل من مسؤولية الإنسان في الوجود، فمحاولات الإفلات من مواجهة الشر أو الاستسلام لسطوة الموت هو أمر يعده "كامو" "إنتحار فلسفي". وفي هذه الحالة لا يبقى للإنسان سوى التعلق بالحياة لأجل تحقيق الخالص للنوع الإنساني ككل.

5. التضحية: قد عمد "كامو" على توظيف هذه القيمة في روايته مستعينا بمجموعة من الشخصيات ودون أدنى شك يكون في مقدمتها بطل الرواية المغوار الطبيب "ريو"، فبمجرد ما استفحل الوباء وتم إعلان حالة الطوارئ وأغلقت المدينة، قرر الطبيب "ريو" البقاء في المدينة ورفع شعار التحدي ومحاولة التصدي لهذه المصيبة التي حلت بالمدينة، ولا يمكننا المرور على الوضع الذي طرحته الرواية مرور الكرام دون اسقاط أحداثها على ما نشهده اليوم من أزمة عالمية خلفها فيروس لا يرى بالعين المجردة (كورونا)، فهذا الوباء جعل الأطباء في كفاح مستمر مضحين بحياتهم وعائلاتهم، فنجدهم جنودا واقفين في خط الدفاع الأول يضحون بكل شيء من أجل رسم الأمل داخل نفوس المرضى، ولم تتوقف تضحياتهم هنا، فمنهم من انتقل اليه الفيروس ووافته المنية بعيدا عن عائلته، وكذلك الحال مع الطبيب "ريو" الذي قرر إرسال زوجته التي تعاني من مرض عضال إلى الخارج لتلقي العلاج وحدها دون مرافقته لها: "نامي إن كنت تستطيعين ستأتي الممرضة عند الساعة الحادية عشر فأصطحبك إلى قطار الظهر".[2]

ولا ننكر دور الزوجة التي كانت المشجع الأول لزوجها، فقد كانت تتظاهر أنها بخير حتى لا تبث في روحه القلق وتأنيب الضمير "أشعر بأني على ما يرام"[3] وودعت زوجها بوجه متفائل ومبتسم، ورغم هذا فلم يمتنع الطبيب من تقديم اعتذاره لزوجته فهو يعلم أنه مقصر في حقها.

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص36.
[2] المصدر نفسه، ص10.
[3] المصدر نفسه، ص10.

وشقّ الطبيب رحلته الطويلة لمجابهة الوباء وقد استغنى عن النوم وأصبح "لا ينام إلا أربع ساعات ليلا" أما باقي الوقت فقد كان مع المرضى ومحاولة علاجهم واكتشاف المصل المناسب لهذا الوباء.

وأعظم تضحية أن تضحي وتعلم أنك الضحية لا محالة، وهذا ما صورته الرواية من خلال شخصية "تارو" الذي واصل درب الكفاح إلى جانب صديقه، ورغم تحذيره من طرف الطبيب "ريو" بصعوبة المواجهة ووجب أخذ التلقيح للوقاية والإبقاء على حظوظ النجاة "يجب أن تأتي غدا إلى المستشفى للتلقيح الوقائي"[1] لكن "تارو" فاجأ الطبيب بردة فعله اللامبالية والغير مهتمة فهو يعلم أن التلقيح ليس فعالا ولا منجيا من الموت نظرا لخطورة الوباء "لا معنى لهذا التقدير يا دكتور، منذ مئة سنة أهلك الطاعون جميع سكان مدينة فارس"[2] وكما كان متوقعا زار الوباء اللعين جسد "تارو" فأنهكه وهتك به "كان قد هزل حقا وكان التعب يلقى على عينيه وقسماته مشارة وكانت كتفاه القويتان مجتمعين كتلتين".[3]

وكما نعلم أن مرض الطاعون لم يكن بالمرض الهين ولا الذي يبعث الأمل في ضحاياه وقد كان مصير "تارو" كأي ضحية من ضحايا الطاعون الموت الحتمي. ولم يبتعد مصير النفس "بانولو" عن نهاية "تارو" (الموت)، فبعد انضمامه لمجموعة المتطوعين والدخول في دائرة التحدي رغم درايته بخطورة الوضع "منذ أن التحق بانولو بالتشكيلات الصحيّة، لم يغادر المستشفيات والأماكن التي كان الطاعون يزورها"،[4] وقد انشغل الأب "بانولو" بالأعمال الخيرية في وقت كان الوباء قد وصل إلى ذروته، وقد كانت لهذه المجازفة عواقب وخيمة. فقد تسلل الوباء ولامس جسد الأب "بانولو" رغم أن أعراضه لا تتطابق مع أعراض الوباء إلا أنه وجب الحذر، وبعد عجز الأب "بانولو" انتقل للعيش مع عجوز كانت كثيرة الزيارة للكنيسة ومكث عندها للاعتناء به "وقد شعر الأب بانولو أثناء الانتقال بالإرهاق والضيق".[5] وبقي على حاله وأصبحت حالته تزداد سوءا يوما بعد يوم إلى أن "أصبح يشكو ضيقا في

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص132.
[2] المصدر نفسه، ص ن.
[3] المصدر نقسه، ص203.
[4] المصدر نفسه، ص217.
[5] المصدر نفسه، ص226.

التنفس[1]" والكثير من الأعراض التي تدعو إلى الخوف والريبة إلى أن زارته المنية (الموت) وأدرج ضمن قائمة ضحايا الوباء. وخلص "كامو" إلى تبرير قيمة التضحية في سبيل الآخرين، فوجب على الفرد التضحية بملذات الحياة والشعور بالمصير المشترك.

6. الصبر والشجاعة: بعد كل المصائب التي حدثت بمدينة وهران وسكانها من فراق ونفي وحجر تام في البيوت نتيجة هذا الوباء الخطير الذي أصبح هاجس لدى هؤلاء السكان، قرر الأشخاص الذين تم نقلهم إلى الحجر بسبب ظهور عليهم أعراض هذا الوباء، وبعد خروجهم ورجوعهم إلى بيوتهم قاموا بإشعال النار ظنا منهم أنه سيذهب هذا المرض: "وقد تبين بعد حين أن الأشخاص الذين عادوا من المحاجر ارتابوا لما أصاب المدينة من حداد، وشقاء، فأخذوا يشعلون بيوتهم قاموا بإشعال النار ظنا منهم أنهم يميتون بذلك الطاعون،[2] لكن هذه الفكرة لم تكن ناجحة ولم تجدي نفعا. فنظر هؤلاء السكان إلى حالتهم التي تزداد سوءا يوما بعد يوم. وعن فراق الأحبة والأصدقاء وعدم الالتقاء بهم، فقرروا الصبر على ما أصابهم وأن يكونوا أقوياء أكثر مما كانوا عليه من قبل، لعل هذا الوباء سيزول بإذن بالله: "لقد التزم مواطنونا الخط، وتأقلموا كما يقال، لأنهم لم يكونوا يملكون أن يفعلوا غير ذلك، كانوا بالطبع لا يزالون يحتفظون بطابع المصيبة والعذاب، ولكنهم لم يكونوا يستشعرون بعد وخزه"،[3] فقرروا بذلك أن هذا هو الحل الأنسب لحالتهم الحالية، أن يقوموا بفقدان الذاكرة عما حدث لهم في الماضي، وأن يعيشوا في هذا الحاضر المجهول، لأنه فرق بين الأحبة والأصدقاء، فهم يحتاجون إلى مستقبل زاهر وليس إلى حاضر لا يدرون وجهته وتطوره إلى أين.

والذي كان أكثر صبرا من هؤلاء السكان هو الدكتور "ريو"، الذي كان يكتم جميع أحزانه وحسراته من هذا الوباء في قلبه، حيث يرى نفسه مصدر قوة هؤلاء السكان، فهو على الرغم من أنه يرى مئات البشر يموتون أمامه ولا يستطيع فعل أي شيء لهم، فلا يزال صامدا وقويا: "عبر مثل هذه الألوان من الضعف كان ريو يستطيع أن يحكم بتعبه، كانت حساسيته نقلت منه، فبعد أن كانت

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص226..

[2] المصدر نفسه، ص171.

[3] المصدر نفسه، ص182.

معقودة غالب الوقت، قاسية وجافة، إذ بها تنفجر من بعيد وتتركه لعواطف لم يكن له بعد عليها سلطان، وكان دفاعه الوحيد أن يحتمي لهذه القسوة وأن يشدد أوصال العقدة التي تكونت في نفسه.[1]

فالصبر هو ضياء المؤمن يحفظه من التخبط، ويشع له نور الهداية الواقية من القنوط، وهو فضيلة يحتاج إليها الإنسان في دينه ودنياه، ولابد أن يبني عليها أعماله وآماله.

7. **الشرف**: تحدث "ألبير كامو" في روايته هذه عن قيمة أو قضية الشرف أي الموت بشرف، وقد أخص بذلك "جان تارو" في حديثه عن هذه القضية، حيث يقول وهو يخاطب الدكتور "برنار ريو": "وإنما أعلم أن علي أن أعمل كي لا أكون بعد مصابا بالطاعون وأن هذا هو وحده الذي يستطيع أن يجعلنا نأمل بسلام أو موتا شريفا بدلا منه"،[2] وجب على كل انسان أن يتقبل ما هو فيه وأنه بإمكانه أن يكون مصابا بالطاعون، أي أن أي أحد من سكان هذه المدينة قد يكون مريض بهذا المرض دون علمه، فالإنسان ليس فكر، والأبطال والقديسون لا وجود لهم، فالحاضر يجب أن يعاش كشكل من أشكال المواجهة والمقاومة، والشجاعة والقوة، لا كشكل من أشكال الخوف والهلع والارتباك، فوجب الإيمان بعدم رفض الموت من قريب أو بعيد، أو لأسباب سيئة أو صالحة، وأن تكون الإرادة قوية من أجل المحاربة والمواجهة للخروج من هذا الوباء يقول جان تارو لبرنار ريو: "وأقول فقط إن على هذه الأرض أوبئة خطيرة وأنه يجب على المرء أن يرفض ما وسعه ذلك، أن يكون مع الوباء، ربما يبدو هذا ساذجا بعض الشيء، ولست أعرف إن كان كذلك حقا، ولكني أعرف أنه صحيح ".[3] كذلك "تارو" لما أصيب بالطاعون وهو على فراش الموت يحتضر قال لريو: "ليست بي رغبة في الموت، وسأصارع ولكن إذا خسرت المعركة فأود أن أنتهي نهاية شريفة ".[4] فالطاعون جعل من المدينة المصابة مدينته، وكان الدكتور "ريو" يعرف أن أحد أشكال مواجهة الوباء هو أن يموت الإنسان بشرف وكرامة.

8. **الصراع**: المتأمل في أحداث الطاعون نرى أن الصراع قد لامس الرواية وقد تعددت مضاربه حسب تعدد المصالح، فهناك من يصارع من أجل البقاء وهنا ك من يصارع من أجل راحة الجماعة.

---

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص189.

[2] المصدر نفسه، ص248.

[3] المصدر نفسه، ص249.

[4] المصدر نفسه، ص276.

ولعل الصراع الأبرز في الرواية هو الصراع ضد الموت الذي بات يهدد الجميع دون استثناء كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، ولكنهم فضلوا الصراع و الموت بشرف" ليست بي رغبة في الموت، وسأصارع ولكن إذا خسرت المعركة فأود أن أنتهي نهاية شريفة"، فالأب بانولو قرر الخوض في غمار الأحداث ومواجهة الطاعون والموت شريفا فهو كان قسا وبالتأكيد هو رمز للإرادة والصبر والمواجهة، ولكن "ريو" حاول تشجيع "الأب بانولو" بصفته قديسا "لا أن كنت على من يريدان أن يكون قديسا أن يعيش صارع".[1]

فالطبيب ريو أراد أن يبث جرعة الأمل في روح "القس بانولو" ويجعل منه بطلا ضد الطاعون، كذلك "تارو" الذي كان في واجهة الصراع مع المرض الذي إتصل بجسده وأنهكه. "ولكن شفتيه المبيضتين بالحمى كانتا تترجمان عن الصراع الذي كان يعانيه".[2]

وقد بدأت العوارض تظهر على تارو الواحدة تلو الأخرى "وقد بدأ ليلة في الصراع، وكان ريو يعلم أن هذه المعركة القاسية مع ملاك الطاعون قائمة حتى الفجر"،[3] فقد كان "تارو" يصارع المرض في صمت دون حراك ودون أن يظهر أي ردة فعل على الألم المحيط به.

إن إدراج الصراع في رواية الطاعون لألبير كامو أضفى عليها نوعا من التشويق والإثارة في مواصلة قراءتها وجعل من الصراع أيقونة للمواجهة والتمرد على قوانين الطبيعة.

9. الأمن والسلام: تمثلت هذه القيمة في كون "بيرنار ريو" و "جان تارو" حاولا الخروج قليلا من الوضع المضطرب والمجهول الذي تعيشه مدينتهما، وبالأخص "تارو" عندما جلس مع "ريو" مقابل البحر حيث قال لريو: "إنه لجو جميل، لكأن الطاعون لم يصعد إلى هنا قط"،[4] وكأن "تارو" هنا أحس في ذلك المكان بنوع من الهدوء والاستقرار بعيدا عن ضجيج مدينته، وهنا استفاق "تارو" لصداقته مع "ريو"، حيث قال له: "ألم تفكر أبدا يا ريو بأن تعرف من عساني أكون؟ هل تشعر بصداقة نحوي؟ فأجاب الطبيب: نعم، أشعر نحوك بصداقة، لكن الوقت قد فاتنا حتى الآن"،[5] فهنا من شدة الألم والحزن السعي

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص276.
[2] المصدر نفسه، ص277.
[3] المصدر نفسه، ص277.
[4] المصدر تقسه، ص240.
[5] المصدر نفسه، ص241.

وراء محاربة هذا الوباء، فلم يجلس "ريو" و"تارو " أبدا مع بعضهما ليتحدثا عن صداقتهما إلا بعد وجودهما في هذا المكان الآمن.

وبعد تذكر "تارو" أن الموت حق ولا يجب نكران ذلك، سأله "ريو": "إما إذا كانت لديه فكرة عن الطريق الذي ينبغي سلوكه للوصول إلى السلام"،[1] فقرر الدكتور الذهاب إلى البحر ثم يتبعه "تارو" وعندما التقيا هناك أحسا كلاهما بالسلام والأمان: "وظلا يتقدمان بضع دقائق في إيقاع واحد وقوة واحدة منعزلين، بعيدين عن العالم متحررين أخيرا من المدينة ومن الطاعون".[2] في هذه اللحظة وفي هذا الموقف بالذات شعر كلا من الصديقين "ريو" و "تارو" بسلام وأمان كبيرين لأنهما كانا فاقدين للطمأنينة في مدينتهم، ولكن على ما يبدو أن اللحظة الحقيقية التي أحس فيها "تارو" بسلام كبير هو عندما مات، حيث يقول "ريو" وهو يخاطب نفسه: "ويبدو أن تارو كان قد بلغ هذا السلام الشاق الذي تحدث عنه، ولكنه لم يجده إلا في الموت في الوقت الذي لم يكن ليجديه فيه نفعا".[3]

10. الأنانية والجشع: يمكننا القول أن الرواية نجحت إلى حد كبير في إبراز جانبين مهمين أولهما إبراز محاسن ومواطن الإنسانية وثانيهما إخراج أسوء ما في البشر فوباء الطاعون وضح هشاشة المجتمع، فحين كان يناضل من أجل الحرية و التضامن من القيود التي فرضها الطاعون فقد إشتغل البعض بمصالحهم والبحث عن سبل النجاة دون مراعاة نتائج تهورهم، وقد سجلت السلطات محاولات عديدة للهرب، والفرار خارج المدينة "والحقيقة أن بعض مواطنيها تم جبرهم من تحمل الحرارة و الطاعون، فخضعوا لواقع العنف، وحاولوا أن يخدعوا يقظة الحواجز والسدود ليهربوا خارج المدينة".[4]

فهروب هؤلاء يعني زيادة في حجم الكارثة وعما نعلم فمرض الطاعون ليس بالمرض العادي أو الهين، فخروجهم على نطاق المدينة بمثابة جريمة شنعاء لما يترتب عليها من حصد لأرواح بريئة، وقد كان المرض يحصد أرواح الآلاف من المواطنين وبلغ ذروته إلا أن البعض لم يكترث لذلك وحاولوا الخروج "إذ

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص250.
[2] المصدر نفسه، ص252، 253.
[3] المصدر نفسه، ص293.
[4] المصدر نفسه، ص108.

إندفع الشعب الذي كان يمسكه الوباء حتى الآن إلى التمرد"،[1] فقد مارست السلطات سياسة التخويف والترهيب وهذا ناتج عن اللامبالاة الناتجة عن بعض المواطنين وسلوكاتهم التي تدل على الخروج من دائرة المسؤولية، ولا ننكر أن أحد أهم وأبرز شخصيات الرواية حاول الفرار وهو رامبير "كان رامبير في عداد آخرين حاولوا أن يفروا".[2]

ورغم ما تمر به المدينة من تدهور وتواصل تحذيرات السلطات من محاولات الفرار المتكررة والتي قد ينجم عنها تفاقم الأزمة، إلا أن هذا لم يمنع البعض من محاولة الهروب المستمرة "من ذلك سجلت بعض محاولات الفرار الجديدة"،[3] فكامو لم يبدع في تصوير عمق المعاناة فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك وهذا للتأكيد على أن السبيل الوحيد لنجاة البشرية تكمن في التواصل والتعاون فيما بينهم لا بالجشع والأنانية.

11. الإنتصار والقوة: عاشت مدينة وهران وسكانها مدة طويلة من النفي والأسى والحزن وفقدان الأحبة، وموت البشر يوما بعد يوم، مما جعلهم يعيشون هاجس المستقبل المجهول، وكان "غران "الذي كان هو الآخر قد مرض بهذا المرض، وكانت فكرة الموت تراوده دائما، إلى أن نجا بأعجوبة: "ولكن غران ألقي صباح اليوم التالي مستويا في سريره يتحدث مع تارو، وكانت الحمى قد زالت ولم تبقى إلا آثار إجهاد عام"، ولكن لم يتغير شيء حتى الظهر، وعند المساء كان بالإمكان اعتبار غران ناجيا"[4]، فكان "غران" هو أول من تغلب على هذا المرض ثم بدأوا يكتشفون تقهقر الوباء شيئا فشيئا عندما أروا أيضا الجرذان تخرج من جديد لكنها حية ولم تمت: "وفي أواخر الأسبوع نفسه، استقبل العجوز المجهول الطبيب و"تارو" بحيوية كبيرة وقال: رجعنا....إنها تخرج من جديد... ما الذي يخرج؟ -الجرذان...الجرذان[5]! "وكان قد رأى جرذين يدخلان منزله من باب الشارع، وكان بعض الجيران قد تنبأوا بأن الجرذان قد ظهرت في بيوتهم أيضا[6]، لكن لم يعجل المواطنين بإظهار فرحهم لأنهم لم يكونوا يأملوا بتراجع هذا الوباء، كون الفترة القاسية التي مرت عليهم علمتهم الحذر وعودتهم ألا ينتظروا اختفاء الوباء قريبا، وأنه لن يزول دفعة واحدة، وبالفعل فإن

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص115.
[2] المصدر نفسه، ص109.
[3] المصدر نفسه، ص265.
[4] المصدر نفسه، ص260.
[5] المصدر نفسه، ص261
[6] المصدر نفسه، ص261.

الطاعون كان يضعف لكنه لم يقف في تلك اليوم التالي، حيث بدأت أعراضه تظهر على "تارو": "كان تارو متمددا على طوله وكان رأسه الثقيل يحفر الوسادة، وصدره العارم يرتسم تحت كثافة اللحاف، وكانت به حمى، وكان رأسه يصدعه، وقال لريو إنها عوارض غامضة ربما كانت عوارض الطاعون أيضا".[1]

فكان "تارو" يقاوم يوما بعد يوم لكن الطاعون قضى عليه: "وعند الظهر بلغت الحمى ذروتها وكان نوع السعال الأحشائي يهز جسم المريض الذي بدأ إذ ذاك يبصق دما، وكانت الغدد قد كفت عن الانتفاخ، وكانت لا تزال هناك قاسية كأنها الحلزون، مشدودة في جوف المفاصل، وقد رأى ريو أن شقها مستحيل ،[2] "لم تكن الليلة التالية ليلة الصراع، وإنما كانت ليلة الصمت"[3]، هناك كان الطاعون قد ذهب وترك بصمته الأخيرة على "تارو"، ثم جاء زمن الفرحة، وفي شهر يناير أي بعد حوالي تسعة أشهر تحديدا من ظهور الوباء الذي خيم طويلا على أجوائها، حتى نسي بعضهم كيفية العيش بدون الطاعون، لأنه من الصعب أن يعيش الإنسان تقريبا مدة عام من الفراق والعيش في المنفى، والشوق حيث معظمهم حرموا من أشخاص كانوا خارج المدينة لحظة غلق الأبواب، فبلغ شعورهم بالوحدة أقصى حدوده، إلى أن جاءت لحظة الانتصار، وقامت المدينة بفتح أبوابها وأخذوا يخرجون من هاجس هذا الوباء ويعيشون أجواء عارمة من الفرحة: "وعند ذلك عاد الجميع إلى بيوتهم، يضم بعضهم بعضا، عما عن باقي العالم منتصرين على الطاعون، ناسين كل شقاء"،[4] وكانوا يتعانقون بلهفة كبيرة وكأنهم لم يقوموا بتصديق أمر انتهاء هذا الوباء: "وكان رجال ونساء يتعلقون بعضهم ببعض، ملتهبة وجوههم، ثائرة رغباتهم بعصبية وصراخ، أجل لقد انتهى الطاعون مع الرعب، وكانت هذه هي الأفرع التي تتشابك تعبر في الحق عن أن الطاعون كان نفيا وتفريقا، بمعنى الكلمة العميق".[5]

[1] ألبير كامو، المصدر السابق، ص274، 275.
[2] المصدر نفسه، ص181
[3] المصدر نفسه، ص182
[4] المصدر نفسه، ص288.
[5] المصدر نفسه، ص291.

ثالثا: تأثير رواية الطاعون في الأدب العربي

ذهب العديد من القراء العرب من مختلف الأعمار والانتماءات الإجتماعية والميول الأدبية يعترفون بأهمية كتابات "كامو" الفكرية والفنية وبقيمة الموضوعات التي تطرق إليها والمتعلقة بمصير الإنسان في الوجود.

فالمفكر "طه حسين" يرى أن "كامو" أديب ومفكر أثّر كثيرا في عصره، ويعترف أن ثمّة شهادات عديدة تدّل على المكانة الرفيعة الممتازة التي يرقى إليها في نفوس النّقاد الفرنسيين، بل في نفوس الأدباء والمثقفين والمفكرين الفرنسيين بوجه عام. وسيرة المؤلف أثناء الحرب هي التي رفعته إلى هذه المنزلة فقد وفى لوطنه أثناء المحنة كأحسن ما يفي الناس لأوطانهم، وكأحسن ما يفي المثقفون لأوطانهم واحتمل في سبيل هذا الوفاء من الجهد والمشقة والعسر ما لم يحتمله الكثير من المثقفين الفرنسيين، ثم هو إلى ذلك نافذة البصيرة، دقيق الفطنة، صارم الرأي مؤمن بالحرية الواضحة الصريحة المستقيمة التي لا تحب غموضا ولا إلتواء،[1] وبعد هذا كله أو مع هذا كله فهو كاتب ممتاز، قد أخضع اللغة الفرنسية لسلطانه الصارم السمح معا، فبرع في الوصف إلى حيث لا يكاد يباريه أحد من معاصريه وبرع في السير إلى حيث لا يشق فهمه على أحد ثم هو هذا كله ليس صاحب امتياز في البيان وحده، ولكنه صاحب امتياز في التفكير أيضا، فهو أديب بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها وهو فيلسوف بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها أيضا له محاولات رائعة في فهم الحياة وتفسيرها وفي اكتشاف الصلة بين الانسان والعالم الذي يعيش فيه، وفي تفسير الوجود من حيث هو وجود وفي تفسير المصير الذي أتيح للإنسان أن ينتهي إليه.[2]

أما عن رواية الطاعون فيرى "طه حسين" أنه أقبل على قراءتها مشغوفا بها، مشوقا إليها أشد التشوق، إذا أنه أحب الكاتب كثيرا وأعجب بفنه، ولكنه لم يكد يمضي في قراءتها حتى أدركه شيء من خيبة أمل ومصدر هذه الخيبة أن الرجل كان ينتظر أن يقرأ آية أدبية مثل "الغريب" أو "كاليجولا" أو "سوء التفاهم"، وإذا به يجد نفسه أمام شيء هو بالقصص الخالص ولا هو بالفلسفة الخالصة وإنها محاولة لشيء بين ذلك.[3]

[1] طه حسين، ألوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص293.

[2] المرجع نفسه، ص294.

[3] طه حسين، ألوان، المرجع السابق، ص296.

واللافت للنظر أن "طه حسين" يحلل في "ألوان" بإيجاز رواية "الطاعون" ليخلص إلى أن الداء ليس إلا رمزا لحقيقة أراد الكاتب التعبير عنها: إن مدينة وهران ما هي سوى رمز لفرنسا وغيرها من البلاد الأوروبية التي اجتاحتها الحرب واحتلها العدو وعزلها عن العالم الخارجي عزلا تاما..."، والطاعون في رأيه هو الحرب والاحتلال والبطش والنكال، والشعب المصاب الذي تألم هو هذه الأمم الأوروبية التي اصطلت نار الحرب ودفعت الثمن غاليا، وما الطاعون إلا الشر الذي يلم بالناس في جميع المواطن والعصور.[1]

ويستنتج طه حسين في نهاية دراسته أن هذه الرواية على الرغم من عيوبها خليقة بأن تقدر وتقرأ لأن صاحبها يرفعنا من طور الحياة اليومية السخيفة إلى طور التفكير في المشكلات العليا، وأن "كامي" صاحب مذهب كبير يستحق كل الثنايا لأنه يرقى بصاحبه إلى هذا الطور من التفكير الرفيع.

أما عباس محمود العقاد فيرى "ألبير كامو" رجل مجدود في شهرته وفيلسوف على الرغم منه، نال لم ينله أمثاله في أدبه وعمله، أديب براء من تلك الحيل المصطنعة التي يستعان بها كثيرا في بيئة الفن الفرنسية على اظهار ما لا يستحق الظهور، تاريخه ومنهجه في كتابته يدلان على صدق الرغبة في تصوير الحقائق كما يحسها ويدركها وعلى صدق الغيرة الإنسانية في عرض مشكلاته وقضاياه.[2]

ويعترف العقاد بصعوبة وضع "كامو" في خانة فلسفية أو فكرية معينة، فهو في رأيه ليس له موضع بين الفلاسفة الوجوديين ولا بين الفلاسفة على الإجمال، لأنه معوله الأكبر على الإحساس لا على التفكير، إنسان يجاهد في خدمة الإنسانية جعاد فنان، ومكانه الأصلح الأوفق بين مدارس الفن يستقر عند مدرسة (الإحساسيين الواقعيين) الذين يصفون ما يحسونه في الواقع ولا يزيدون على تصوير المشكلات كما تقع في سريرة الإنسان، وفضيلته أنه يحس ضخامة المشكلة ولا ييأس من عقابها.[3]

كان لألبير كامو صدى في الوطن العربي وخصصت له الصحف والمجلات العربية حيّزا كبيرا تحدثت فيه عن فكره، وأدبه وعبثه وتمرده، وهكذا حظي بمكانة متميزة لدى الجمهور العربي المثقف، وأصبح موضوع دراسات في الجامعات العربية إذا تناول الباحثون أعماله بالدراسة والتمحيص فناقشوا

[1] طه حسين، ألوان، المرجع السابق، ص298.

[2] عباس محمود العقاد، خواطر في الفن والقصة، بيروت، دار الطباعة والنشر، 1982، ص35.

[3] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص41.

أفكاره العبثية وحلوا نظرته الساخرة للإنسانية ودرسوا لغته الحية الزاخرة بالرموز، وقد تركت هذه الدراسات تأثيرات متنوعة في البحوث العربية.

واللافت للنظر أن جلّ كتبه قد ترجمت إلى اللغة العربية في لبنان والقاهرة وأثارت ردود فعل متفاوتة الأهمية، إذ كانت كل ترجمة تستقبل بحرارة وتحلل من جوانب عدة، وقد ساهمت مجلة "الآداب اللبنانية" لصاحبها "سهيل ادريس" بترجمة عدد من قصصه ومقالاته الفلسفية مثيرة ضجة كبيرة في بعض الأوساط الثقافية العربية المتأثرة بالتيار الوجودي، وكانت هذه القصص والمقالات المترجمة ترسل إلى أهم العواصم العربية يتلقاها المهتمون بالأدب بشغف كبير، نظرا للمكانة المرموقة التي كان يحتلها ألبير كامو عندهم.[1]

أما الأديب مولود فرعون قد انتقد "ألبير كامو" في إحدى رسائله ويعرب عن أسفه لما لقيه العرب من اهمال في رواية "الطاعون" مبديا ملاحظاته عن قصور كامو في الإدراك وعدم قدرته على فهم المواطن الجزائري المسلم، وهو ما يؤكد التباين بين شخصية الرجل المحتل والمواطن صاحب الأرض، يقول مولود فرعون في هذه الرسالة: "لا يكفي أن يولد شخصان في نفس البلدة وتحت سماء واحدة ليكونا قادرين على فهم أشياء متماثلة، وأن يمتلكا نفس الشعور وبريا الشيء الواحد من نفس الزاوية فكيف هو الحال بالنسبة لشخصين ينتميان إلى طبقتين مختلفتين: طبقة الأسياد وطبقة المضطهدين والمغلوبين، طبقة المستعمِرين وطبقة المستعمَرين، وهناك حقيقة أخرة كذلك هي أن أحدهما ينتمي إلى الغرب والآخر ينتمي إلى الشرق".

الغريب في الأمر أن "ألبير كامو" قد نال نجاحا كبيرا في العالم العربي على الرغم من مواقفه السلبية إزاء القضية الجزائرية، فتن القراء العرب في كل مكان وتجاوب النقاد مع كتبه واهتم الباحثون بدراسة أعماله ومع منحه جائزة نوبل للآداب ضاع صيته في كل مكان.[2]

[1] مختاري رضوان زكي، المرجع السابق، ص63، 64.

[2] المرجع نفسه، ص65.

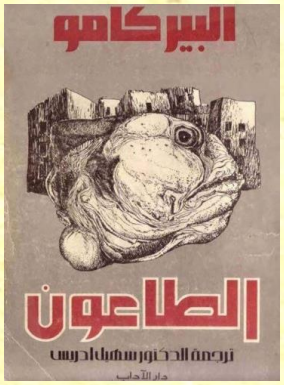

خاتمة

شهدت الكتابة السردية في ظل الأوبئة تحولات عميقة، إذ وجدت الأدب مجالًا رحبًا لتصوير الأزمات الصحية الكبرى بما تحمله من تداعيات نفسية واجتماعية وفكرية.

فالوباء باعتباره حدثًا جماعيًا استثنائيًا، أعاد تشكيل نظرة الإنسان إلى الوجود، وفرض على السرد مواجهة أسئلة الموت، الخوف، العزلة، والمصير، وقد استطاع السرد الأدبي من خلال تقنياته المتنوعة، أن يلتقط التفاصيل اليومية للحياة تحت وطأة الوباء، ويبرز التباين في ردود أفعال الأفراد والجماعات، بين التماسك والانهيار، وبين الأنانية والتضحية.

كما شكّل الوباء خلفية خصبة لتجريب أشكال جديدة في الكتابة السردية، قائمة على التوثيق، التأمل، والتداخل بين الواقعي والمتخيل، وبرزت في هذا السياق أعمال سردية خالدة مثل رواية الطاعون لألبير كامو، حيث تتقاطع فيها التجربة الإنسانية مع الفلسفة والأخلاق، وتؤكد هذه الكتابات أن السرد في زمن الوباء لا ينقل الوقائع فقط، بل يُعيد بناء الوعي الجماعي ويُسهم في حفظ الذاكرة الثقافية للأزمات.

ومن خلال ما جاء في هذه الدراسة نقدم بعض النتائج التي استقيناها من الجانب التطبيقي وهي كالآتي:

- لقد كشفت الدراسة كيف مثّل الوباء في رواية الطاعون لألبير كامو أداة سردية وفلسفية عميقة أثرت في بنية الأدب السردي ومضامينه وأعادت تشكيل الرؤية الإنسانية للألم والمعاناة والوجود.

- أظهر التحليل أن الوباء لم يكن مجرد حدث بيولوجي أو خلفية زمنية، بل أصبح محورا سرديا يعيد ترتيب الشخصيات ويخلق توترات جديدة، ويفرض إيقاعا مختلفا على الزمن والمكان، ما أدى إلى تطور تقنيات السرد لتناسب هذا الوضع الطارئ والإستثنائي، حيث يقول كامو على لسان الطبيب: "الطريقة الوحيدة لمحاربة الطاعون هي النزاهة" وهو ما يبرز كيف يتحول السرد إلى منصة أخلاقية تستنطق جوهر الإنسان في أوقات الانهيار.

- انعكس الوباء في الرواية حيث تجاوز حدود النص ليصبح له أثر عميق على تمثيل الحالات الإجتماعية إذ أظهر تواجه الجماعة والفرد، واقع العزلة، الخوف، الموت الجماعي.

- جسّد ألبير كامو عدة شخصيات متباينة كالطبيب ريو المقاوم، والصحافي رمبير الباحث عن الهروب حيث جاء في الرواية: "كل ما كان في وسع الإنسان أن يكسبه وسط الطاعون هو المعرفة وبعض الذكريات"، في إشارة على هشاشة الوجود الإنساني أمام الكوارث.

- على الصعيد الأدبي تجاوزت الرواية الأدب الفرنسي لتصبح مرجعا عالميا في أدب الأوبئة.

- أثّرت رواية الطاعون في الأدب العربي والعالمي من خلال إلهام الكتاب والروائيين الذين تناولوا الوباء ليس فقط كظاهرة صحية بل كاستعارة وجودية وفلسفية حيث يشير الناقد عبد السلام بنعيد العالي إلى أن: "كامو لا يكتب عن الطاعون بل يكتب بالطاعون" ما يدل على أن المرض نحوّل إلى أسلوب سردي فلسفي.

- أعيدت قراءة الرواية في ضوء أزمات حديثة مثل جائحة كورونا مما أكسبها حضورا معاصرا ورهانا متجددا وأثبتت أن الأدب في ظل الأوبئة لا يوثق المعاناة فقط بل يعيد صياغة الوعي الإنساني بأبعاده الأخلاقية والوجودية.

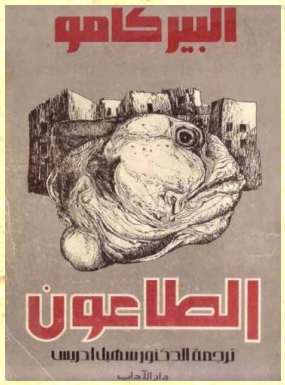

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الـــــمـصادر

- ألبير كامو، الطاعون، تر: سهيل إدريس، ط1، دار الآداب، بيروت، 1981.

ثانيا: الـــــمعاجم والقواميس

- ابن منظور، لسان العرب، مادة (وبأ)، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999.

- خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصرة، ط1، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت.

ثالثا: الـــكـتـب

- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1.

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1971.

- أمير تاج السر، إيبولا 76، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2012.

- أميرتو إيكو، نزهات في غابة السرد، تر: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط1، 2005.

- جاك لندن، الطاعون القرمزي، تر: الزهراء سامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2020.

- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط4، 2001.

- جون ساذرلاند، ترجمة مُحَّد هارق داود فكرة يجب أن تعرفها عن الأدب، المكتبة المصرية للمطبوعات.

- جيرالد مارتن، سيرة حياة غارسيا ماركيز، تر: مُحَّد درويش، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2010.

- جيفري تشوسر، حكايات كانتربري، تر: مجدي وهبة-عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983.

- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فصل الطاعون، تحقيق: احمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، السعودية، د.ت.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، مادة (وبء)، الطبعة الأولى، المجلد8، دار الهلال، بيروت، لبنان.
- دين كونتز، عيون الظلام، تر: هبة جابري، سما للنشر والتوزيع، مصر، 2020.
- الزيات أحمد، التأثيرات النقدية لعبد ملك مرتاض في السرد العربي، دار الفكر، القاهرة، 2010.
- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان (الرباط)، ط1، 1433هـ/2012م، ص77.
- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط.
- سعيد يقطين، الكلام والخبرة مقدمة لدراسة السرد العربي، المركز الثقافي في العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1977.
- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- طه حسين، ألوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.
- عباس محمود العقاد، خواطر في الفن والقصة، بيروت، دار الطباعة والنشر، 1982.
- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم في ذوي الشأن الأكبر، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.
- عبد الفتاح أبو مدين، القصص في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982.
- عبد الله ابراهيم، السردية العربية بحوث في البيئة السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992.
- عبد الملك مرتاض، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار هومة، الجزائر، 1998.
- عبد الملك مرتاض، الرواية العربية والتجريب الفن، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006.

- عبد الملك مرتاض، السيميائيات والسرد العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2004.
- عبد الوهاب بن منصور، الحي السفلي،ط1، منشورات مدارج، 2016.
- عدنان بن زريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
- عليمة قادري، رحلة السرد (السندباد يعود من بعيد)، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- عليمة قادري، رحلة السرد (السندباد يعود من بعيد)، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- غابرييل غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، تر: صالح علماني، الطبعة الأولى، دانة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1991.
- غابرييل غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، تر: صالح علماني، الطبعة الأولى، دانة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1991.
- كروكشانك جون، ألبير كامي وأدب التمرد، ترجمة وتعليق وتصدير: جلال العشري، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، مصر، 1986.
- ليندة خراب، شعرية السرد في الرواية العربية الجزائرية، الطبعة الأولى، دار النشر والتوزيع عالم الكتب الحديث، الأردن، اربد، 2016.
- محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل التحرر منه، الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والإجتماعي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، قطر، 2020.
- محمود مُحَمَّد علي، أدب الأوبئة والجوائح، رواية الطاعون لألبير كامو أنموذجا، جامعة أسيوط، مصر، ب.ت.
- نجيب محفوظ، ملحمة الحرافيش، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1977.

- هاني اسماعيل رمضان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كوورنا في الشعر المعاصر - دراسة نقدية- الطبعة الأولى، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي.

- هاني اسماعيل، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر المعاصر، دراسات نقدية، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، ط1، 2021.

رابعا: مـــذكـرات الـــتـخـرج

أ. أطـروحـــات الـــدكـتـــوراه:

- عبد القادر توزان، الشعور بالاغتراب عند أبي علاء المعري وألبير كامو، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الدراسات الأدبية المقارنة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر العاصمة، 2006/2005.

- هجيرة بن صميدة، الموضوعات الكبرى في أدب الأوبئة — دراسة في نماذج مختارة- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، في الطور الثالث، إختصاص أدب معاصر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2025/2024.

- هجيرة بن صميدة، الموضوعات الكبرى في أدب الأوبئة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، جامعة 08 ماي1945، قسم اللغة والأدب العربي، قالمة، 2025/2024.

ب. رســـائـــل الـــمـاجـسـتـيـر:

- بوبكر بن عبد السلام، النزعة الإنسانية في الرواية الكولونالية رواية الطاعون لألبير كامو ورواية أعالي المدينة لإمانويل روبلس نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص آداب عالمية، جامعة عباس لغرور، خنشلة، 2014، 2015.

- مختاري رضوان زكي، ألبير كامي في الوطن العربي "الجزائر أنموذجا" دراسة تحليلية نقدية لأعماله المترجمة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة السانيا، وهران، 2001/2000.

ج. مـــذكـــرات الـــمـاســتـــر:

- عمارة فتيحة، حمو حليمة، صورة الجزائري في رواية الطاعون لألبير كامو، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم الدراسات الأدبية واللغوية، تخصص أدب مقارن وعالمي، جامعة عبد الحميد ابن باديس، 2023/2022.

- فلة كربوسة، الزهرة قيسي، أدب الجوائح رواية ربيع كورونا لأحمد الهادي رشراش، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر، تخصص الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة قاصدي مرباح، 2022/2021.

خامسا: الـــمـقالات الـعلمية

- أحمد عبد العزيز، الوباء والعزلة في الأدب، نظرة حول الحياة والموت، مجلة الدراسات الأدبية والثقافية، دار النشر الجامعية، المجلد 12، العدد04، 2022.

- أحمد نايف، الأوبئة والأدب أنموذجا، مجلة كلية المعارف الجامعة، المجلد31، العدد1، قسم اللغة العربية، كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العراق، 2020.

- ألبير كامو، عام الطاعون، ما يخبرنا به الأدب عن الأوبئة، "الطاعون" الوباء في الأدب، مجلة الآداب والثقافة، 2022.

- ألبير كامو، عام الطاعون، ما يخبرنا به الأدب عن الأوبئة، "الطاعون" الوباء في الأدب، مجلة الآداب والثقافة، 2022.

- أنور المرتجي، كاتب وأستاذ جامعي، أدب ما بعد كورونا وجلية العزلة، مجلة الثقافة والأدب، اتحاد الكتاب العرب، السنة 2022، المجلد10، العدد03، ص 78.

- انور المرتجي، كاتب وأستاذ جامعي، أدب ما بعد كورونا وجمالية العزلة، مجلة الثقافة والأدب، اتحاد الكتاب العرب، المجلد10، العدد 03، 2022.

- بشرى محمود الزوبعي، وباء الانفلونزا الإسبانية وأثره على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد بعد الحرب العالمية الأولى، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد07، العدد02، الجامعة المستنصرة، العراق، 2022.

- حسن منديل حسن، اصطلاح الجائحة بين اللغة والفقه ومنظمة الصحة العالمية، مجلة الكلم، المجلد6، العدد01، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 2021.

- حسين عمر دراوشة، أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر، جامعة باتنة، الجزائر، المجلد (03)، العدد 1 مارس 2021.

- زليخة ياحي، أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراق الوقائع مقاربة في رواية: الطاعون القرمزي لجاك لندن، مجلة الأدب والوباء، الصادرة عن جامعة "الجزائر"، المجلد28، العدد خاص، 2022.

- شينة نصيرة، تشكل السرد الروائي في العالم الافتراضي: قراءة في تجربة "ليليات رمادة" لواسيني الأعرج، مجلة آفاق علمية، المجلد 16، ع2، 2024.

- ضياء عبد الله الكعبي، أدب الأوبئة بين الخيال والواقع، مجلة الاتحاد، العدد 24، 2020.

- طعام عمر، عزوني سمير، سوسيولوجيا الأوبئة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع2، 2022.

- عبد العزيز الهماحي، تداعيات جائحة كورونا على الأدب، مقارنة موضوعاتية في قصيدة كورونا، جامعة مُحَّد البشير الإبراهيمي، برج بوعريرج، 25 سبتمبر 2022، المجلد 28، العدد الخاص.

- عبد الغني خشة، الحب في زمن الكوليرا والكورونا بين الشعر والسرد، مجلة الموروث، المجلد10، العدد01، جامعة 1945، قالمة، الجزائر، 2021.

- عبد الغني خشة، تجليات كورونا في رواية ليليات رمادة لواسيني الأعرج: من العتبة إلى اللهو، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد16، العدد02، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2022.

- عبد الله أغرب، الأبعاد الروائية في رواية "الحي السفلي" لعبد الوهاب بن منصور أنموذجا، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، المجلد05، العدد01، 2022.

- عبد الملك بومنجل، أدب الجائحة بين سلطة الحجر وفسحة الشعر، قراءة في قصيدة حزن المآذن، تأثير جائحة كورونا على الأدب والشعر، جامعة مُحَّد دباغين سطيف2، مارس 2024، المجلد06، عدد خاص.

- علي سعدي عبد الزهرة، منظمة الصحة العالمية وكورونا –الأدوار والتحديات–، مجلة العلوم القانونية والإجتماعية، المجلد الخامس، العدد الرابع، 2020.

- عواد علي، تأملات في العزلة، مجلة الثقافة الجديدة، مارس 2025، دار الفكر، المجلد 02، العدد 01، ص 15، 21.

- عواشرية وداد، تجليات جائحة كورونا في المنجز الروائي الجزائري – رواية "عدو غير مرئي" لبومدين بلكبير أنموذجا، مجلة إحالات، المجلد06، العدد خاص، جامعة مُحَّد لمين بداغين، سطيف، 2024.

- فهد إبراهيم سعد البكر، السرديات الوبائية في زمن الكورونا "قراءة أجناسية أولى لبعض النماذج المواكبة"، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ، المجلد7، العدد2.

- فؤاد بن أحمد عطاء الله، فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون، دراسة ببلوغرافية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 09، العدد 04، 2020.

- مُحَّد حسين شواقي، انواع العزلة وآثارها الاجتماعية والنفسية بحث اجتماعي في نظري، مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية، إقليم كوردستان، العراق، المجلد08، العدد05، 2023.

- محمد سالم، أدب الأوبئة في التراث النقدي والبلاغي، دراسة في شعر علي الدرويش، دار إسطمبولي، المجلة العربية مداد، العدد11، قسم اللغة العربية، كليات اللغات والاتصال، جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا، 2020.

- موسى الزعيم، الوباء والغزلة في الأدب، مجلة الأدب العربي، دار النشر الآداب، بيروت، المجلد 03، العدد01، 2022.

- نسرين فالح حسن، دور منظمة الصحة العالمية في التعامل مع جائحة كورونا– دراسة في ضوء المواقف الدولية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، المجلد 1، العدد 40، 2021.

- ياحي زليخة، أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراف الوقائع في رواية الطاعون القرمزي لجاك لندن، مجلة التواصل، العدد الخاص، مجلد28، جامعة الجزائر، 2022.

سادسا: المحاضرات والدروس

- محاضرات في مقياس السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، السنة الثالثة، تخصص دراسات أدبية، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي.

سابعا: المواقع الإلكترونية

- علي لفتة سعيد، كورونا كمفصل تاريخي – هل سينتج أدبا جديدا بعد كورونا–، القدس العربي، ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.alquds.co.uk.

- وزارة الصحة السعودية: http://www.moh.gov.sa.

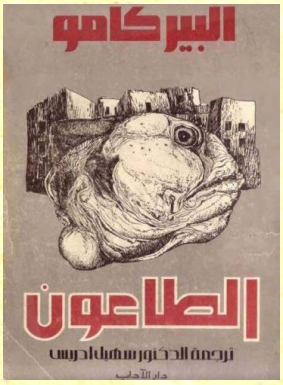

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة لغلاف رواية الطاعون لـ: ألبير كامو

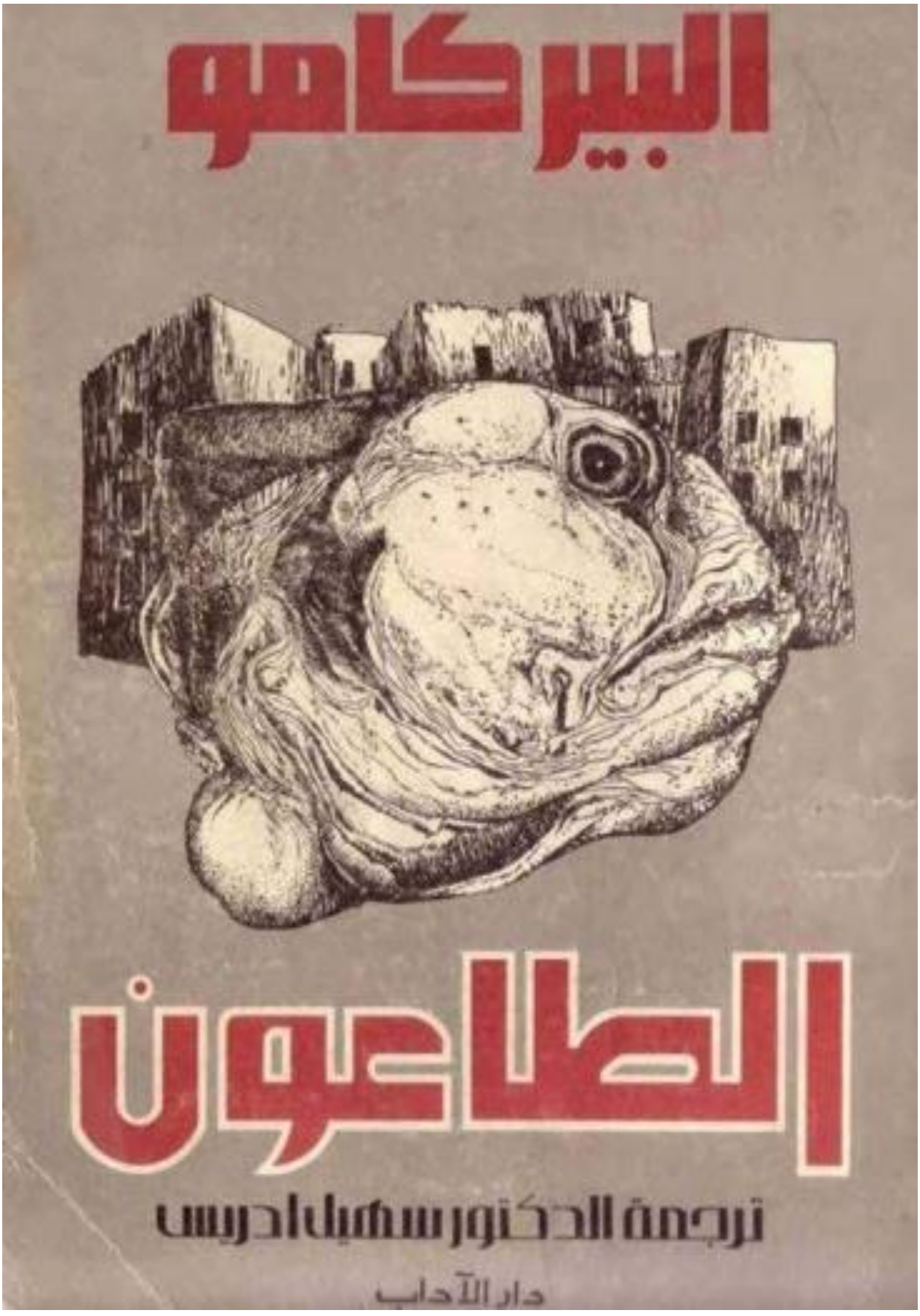

الملحق رقم (02): صورة لـ: ألبير كامو

ملخص

تعد رواية "**الطاعون**" **لألبير كامو** نموذجًا بارزًا للكتابة السردية في ظل الوباء، إذ تجسد من خلال حبكتها وأسلوبها السردي كيف يتعامل الإنسان مع الخطر الجماعي والموت اليومي، تدور الرواية في مدينة وهران الجزائرية، حيث ينتشر وباء الطاعون، فيرصد كامو عبر السرد تحولات الناس النفسية والاجتماعية، بين اللامبالاة والذعر، وبين الأنانية والتضحية.

وتتميّز الرواية بسردها الموضوعي القائم على الراوي المراقب، الذي يُقدّم الأحداث ببرودة ظاهرية، تعكس فلسفة العبث التي تقوم عليها أعمال كامو، كما تستند الكتابة السردية إلى لغة دقيقة، ووصف حسيّ مكثّف يعمق من وقع الكارثة على القارئ، ويظهر في الرواية البعد الإنساني من خلال مواقف الأطباء والمواطنين، ما يجعلها شهادة أدبية وأخلاقية على معنى المقاومة والصبر في وجه الوباء. وقد مثّلت "الطاعون" سردًا رمزيًا يعكس ليس فقط الأوبئة الطبيعية، بل أيضًا الطغيان والاستبداد، مما يمنحها راهنية دائمة في تحليل الكوارث الجماعية.

الكلمات المفتاحية: الكتابة السردية، الطاعون، ألبير كامو، وهران.

Abstract

Albert Camus's *novel "**The Plague**" is a prominent example of narrative writing in the shadow of the pandemic, as it embodies through its plot and narrative style how humans deal with collective danger and daily death. The novel is set in the Algerian city of Oran, where the plague epidemic is spreading, and Camus observes through the narrative the psychological and social transformations of people, between indifference and panic, and between selfishness and sacrifice .*

The novel is characterized by its objective narrative based on an observant narrator, who presents events with an apparent coldness that reflects the philosophy of absurdity that underlies Camus's work. The narrative writing is based on precise language and intense sensory descriptions that deepen the impact of the catastrophe on the reader. The novel shows the human dimension through the attitudes of doctors and citizens, making it a literary and moral testimony to the meaning of resistance and patience in the face of the epidemic. "The Plague" is a symbolic narrative that reflects not only natural epidemics, but also tyranny and despotism, giving it an enduring relevance in analyzing mass disasters.

Keywords: *Narrative Writing, Plague, Albert Camus, Oran*